جـــامعة الأزهـــــر
كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها
بطنـــــــطا

تقديمُ المجرور على عامِلِهِ عندَ ابنِ عاشور
أغراضه البلاغيَّة، وآثارُهُ المعنويَّة
دراسـةٌ في تفسيرِ (التحرير والتنـوير)

إعـــــــــــداد

د. جابر عبد الصادق عبد الحليم حسن
مدرس التفسـير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريـم بطنطا
جـامعـة الأزهـر – مصـر

١٤٤٦هـ = ٢٠٢٤م

تقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور - أغراضه البلاغية، وآثاره المعنوية - دراسة في تفسير التحرير والتنوير.

جابر عبد الصادق عبد الحليم حسن

قسم علوم القرآن–كلية القرآن الكريم– جامعة الأزهر الشريف.

الإيميل الجامعي: Gaberhasan١٣٦٩.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث

يُعدُّ أسلوب التقديم والتأخير من الأساليب العربية التي حظيت بعناية العلماء قديما وحديثا، ذلك أن لكل كلمة في جملتها موقعا معروفًا، ومحلًّا مألوفًا، فالأصل أن يسبق العاملُ معمولَه، والمبتدأُ خبرَه، غير أن البلاغة ربما اقتضتْ تغييرًا في مواقع الكلم في جُمَلِهَا وَفْق المعاني المراد إيصالَها إلى المخاطب، ولتحقيق غرضٍ بلاغيٍّ يكسبُ الكلام رونقًا وجمالًا، فيُقدَّم ما حقُّه التأخير، والعكس، فيأتي الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

والقرآن الكريم أبدع في استعمال هذا الأسلوب كغيره من أساليب العربية لتحقيق أغراض بلاغية كثيرة ومتنوعة، لم تحظ بعناية مفسِّرٍ من المفسرين كما حَظِيَتْ بعنايةِ العلَّامةِ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: (التحرير والتنوير)، فقد كان شديد العناية والاهتمام بأغراض التقديم والتأخير في الأساليب القرآنية على اختلاف أنواعها، ومن جملة ما أولاه عنايتَه: تقديمُ متعلَّقات الفعل عليه، كالمفعول، والظرف، والمجرور.

وقد خُصِّصَ هذا البحثُ لدراسة الأغراض البلاغية لتقديم المجرور على عامله في تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ وما ينشأ عنه من ثراء المعاني القرآنية واتساعها، ويقع هذا البحث في مبحثين، أولهما في تقديم المجرور على عامله لغرض بلاغي واحدٍ، وثانيهما: في تقديم المجرور على عامله لأكثر من غرض، وتحت كل مبحث جملةُ مطالب بحسب مقتضيات المقام، وسبق ذلك تمهيدٌ عن التعريف بالطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ وتفسيره، وذُيِّلَ هذا البحثُ بخاتمة بها أهم النتائج، من أهمها: أن ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو أكثر المفسرين عناية بالأساليب البلاغية القرآنية وتعليلاتها، ومنها: أن التقديم والتأخير قد يكون لبيان معنى لا يتم إلا به، وقد يكون لمجرد مشاكلة الفاصلة ورعاية النظير. ومنها: أن غرضي الاهتمام والحصر هما المهيمنان على الأغراض البلاغية لتقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الكلمات المفتاحية: (تقديم– المجرور – عامله – ابن عاشور– تفسير التّحرير والتّنوير)

The Rhetorical Purposes and Moral Impacts of Presenting Genitive Over Its Agent By Ibn Ashour: A Study In The Exegesis of Al-Tahrir And Al-Tanwer

Gaber Abd El-Sadek Abd Al-Halim Hassan
Lecturer of Qur'anic Studies-Department of Qur'anic Studies-Faculty of the Noble Qur'an-Al-Azhar University.
EMAIL; Gaberhasan١٣٦٩.el@azhar.edu.eg

Abstract:

The figure of speech "*Al-Taqdeem wa al-Takher*" (hysteron proteron) is one of the Arabic methods that has received great attention of scholars, both ancient and modern. This is due to the fact that each word in its sentence has a known position and a familiar location. The general rule is that the agent precedes its object, and the subject precedes its predicate. However, eloquence may require a change in the positions of words in its sentences according to the meanings intended to be conveyed to the addressee, and to achieve a rhetorical purpose that shows the elegance and beauty of speech, so what should be delayed is presented, and vice versa, so the speech comes contrary to what is apparent.

The Glorious Qur'an has excelled in using this style, like other styles of Arabic, to achieve many and various rhetorical purposes. No exegete has paid as much attention to this style as the scholar Sheikh Muhammad al-Tahir ibn Ashur in his exegesis (al-Tahrir wa al-Tanwir). He was extremely careful and concerned with the purposes of hysteron proteron in Qur'anic styles of all kinds. Among the things he paid attention to was presenting the verb's dependents before it, such as the object, the adverb, and the genitive.

This research is meant to study the rhetorical purposes of presenting the genitive before its agent in the exegesis of (Al-Tahrir and Al-Tanwer) by Taher Ibn Ashour, and what results from it in terms of the richness and breadth of the Quranic meanings. I divided my research into two sections, the first of which was concerned with presenting the genitive before its agent for one rhetorical purpose, and the second was on presenting the genitive before its agent for more than one purpose. Under each section, there are a number subsections according to the requirements of the situation. Before that, I presented an introduction about Taher Ibn Ashour and his exegesis, and I concluded the research with a conclusion including the most significant results, most importantly, is that Ibn Ashour is the most well-known exegetes concerned with the rhetorical styles of the Quran and their justifications. Hysteron proteron may be used to clarify a meaning that cannot be completed without it, and it may be simply to match the end of the verse and take care of the resemblance. It has become clear that interest and limitation purposes are the dominant ones in the rhetorical purposes of presenting the genitive before its agent according to Ibn Ashour.

Key words (presenting- genitive-agent-Ibn Ashour-Exegesis of Al-Tahrir and al-Tanwer)

المقدمـــــــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع نوره واهتدى بهداه، وبعـد

فإن القرآن الكريم معجزٌ بلفظه ومعناه، خارجٌ عن حيِّز قدرةِ البشر، أنزله ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على قلب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علامة صدقه، وآية رسالته، أودع فيه ربنا من جليل المعاني، وروائع المباني ما أثار اندهاش البلغاء، وإعجاب الفصحاء، وأبان الحقُّ سبحانه عن مراده فيه بأعذب العبارات، وأجزل الأساليب.

ومنذ نزول القرآن الكريم والعلماء على دراسته متعاقبون، وعلى النهل من معينه عاكفون، وعلى التزود من هداياته مقبلون، وإلى استنباط أحكامه، واستخراج دُرره متسابقون.

ولعلماء التفسير في ذلك القِدْحُ المعَلَّى، ولهم منه الحظُّ الأوفرُ، والنصيبُ الأوفى؛ فهِمَمُهُم لتدبُّر كتاب الله تعالى مصروفة، وجهودهم في الكشف عن أسراره مشهودةٌ معروفة، فكان من ذلك مؤلفاتُهم العظيمةُ، وتصانيفهم القيِّمةُ في دراسة ألفاظ القرآن ومبانيه، وإيضاح أسراره ومعانيه.

ومن أعظم ما أُلِّف في تفسير القرآن الكريم في العصور المتأخرة ما دبَّجَه شيخُ الإسلام ومفتي تونسَ الأكبر؛ العلَّامةُ المحقق المدقق: محمدُ الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ ببراعِهِ الرائع، وأسلوبِه الماتع في تفسيره المعروف بـ: (التحرير والتنوير)، فهو تفسيرٌ عظيمٌ حافلٌ بصنوف العلوم، تجلَّت فيه رجاحة عقلٍ مؤلِّفه، وسدادُ رأيه، وقوةُ بيانه، وسَعَةُ فكرِهِ، وإنك لتبصر في ذلك السِّفْرِ العظيم من أسفار التفسير عنايةً فائقةً من مصنِّفه بالأساليب البلاغية في القرآن الكريم، واهتماما بالغًا بوظائف المفردة القرآنية، وأثرها في إبراز المعنى وتصويره.

ومن جملة ما نالته عناية الشيخ، وانصَبَّ عليه اهتمامه بلاغةُ التقديم والتأخير باعتبارها من أجلِّ أبواب علم المعاني؛ ومن دلائل التمكن من الفصاحة، وحسن التصرف في الكلام، ومن أعظم مظاهر البلاغة التي حفل بها القرآن الكريم.

ومما استوقفني في تفسير الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ، واسترعى انتباهي، وأثار اهتمامي عنايته بذكر أغراض تقديم المجرور على عامله، وما يترتب عليه من آثار معنوية، وأسرار دلالية، فاستخرتُ اللهَ القويَّ، الذي ما نَدِمَ مُستخيرُهُ، واستجرْتُ اللهَ بكرمِهِ، الذي ما خابَ مستجيرُه، ورجَعْتُ البصرَ كرَّةً بعد أخرى، وأجَلْتُ النظرَ

في ذلك التفسير الكبير باحثًا عن تلك الأغراض، فألفيتها كثيرة متعددة، ينضوي تحت كل غرض منها عددٌ من آي القرآن الكريم التي قُدِّم فيها المجرور على عامله، فأعملت نفسي مستعينا بالله في جمع تلك الأغراض التي اعتمدها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره؛ خدمةً لهذا التفسير، وإعانة للطلاب والباحثين، فكانت هذا الدراسة بعنوان: تقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور - أغراضُه البلاغيةُ، وآثارُه المعنويةُ دراسةٌ في تفسير التّحريرِ والتّنوير).

واللهَ أسأل أن يخلص فيه قصدي ونيتي، وأن يعينني على إكماله، وأن يجعل سعي فيه سببًا ينجيني، وعملي فيه ذخيرة تسرني لا تشقيني، فهو حسبُ من أحسن التوكل عليه، ومعين من فوَّض أمره إليه، وأن يجعله وسيلة نيل الثواب يوم المآب، وأن يجعله من صالح الأعمال التي لا تنقضي بانقضاء الآجال، إنه جوادٌ قريبٌ، سميع مجيبٌ، وهو حسبنا ونعم الحسيب.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

تكمن أهمية هذا الموضوع في إبرازِهِ لونًا من ألوان البلاغة القرآنية، وتجسيده للآثار المعنوية المترتبة على تغاير الأساليب القرآنية، وما لها من أثر في بيان حسن التأليف، وجلالة المعاني، فضلا عن تعلُّق هذا الموضوع تعلقا مباشرًا بعلم جليل من العلوم المتعلقة بكتاب الله تعالى وهو علمُ التفسير، وما يسهم به في خدمة كتابٍ من أهم كتبِ التفسير بالرأي في العصور المتأخرة، ألا وهو: تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي عُني فيه صاحبه بدراسة الأساليب البلاغية في القرآن الكريم - ومنها: التقديم والتأخير- وبيان أسرارها الدلالية.

وتتلخص أهمُّ الأسبابِ الداعيةِ إلى اختيار هذا الموضوع للدراسة والبحث فيما يلي:

أولا: القيمةُ العلميةُ لتفسير (التحرير والتنوير) في جانب البلاغة القرآنية، وأساليبها المتنوعة، حيث كان لصاحبه عنايةٌ كبيرة بتحليلها، والوقوف عندها؛ لإبراز كوامنها، واستنطاقها بخفايا لطائفها، مما جعله جديرا بالبحث فيه.

ثانيا: إبرازُ دوْر تقديم المجرور على عامله في تصوير المعنى في القرآن الكريم، وبيانُ أهميَّة ذلك في إيضاح معانيه المرادةِ منه، واستجلاءُ أغراضه البلاغية، وآثاره التفسيرية من خلال ما سطَّره قلمُ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره التحرير والتنوير.

ثالثا: براعةُ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ميدان الدراسات البلاغية، وأساليبها التي حفل بها القرآن الكريم، واهتمامه بالدقائق البلاغية القرآنية اهتماما يربو على مجرد السرد، بل تعداه إلى مناقشة أعلام البلاغة، وتفنيد بعض

آرائهم، حتى اصطبغ تفسيره بالصبغة البلاغية، وأصبح مرجِعًا من مراجعها، وهذا ما جعله وجهة للباحثين في إقامة الدراسات حوله، ومنها هذه الدراسة.

رابعا: إسهامُ هذا البحث في إثراء المكتبة الإسلامية في مجال تطبيقات الدرس البلاغي في مطولات كتب التفسير؛ خدمة لها، وإعانة للباحثين.

خامسا: الرغبةُ في تحصيلِ ثواب الاشتغال بعلوم القرآن الكريم، وعِلْمُ التفسير من أوائل تلك العلومِ.

الدِّراساتُ السَّابِقَة

لفت العلامة ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتباه الباحثين بدقة درسه البلاغي، وفكره المميز وآرائه الدقيقة في كثير من مسائل التفسير، على الصعيدين الأسلوبي البياني، والمعنوي الدلالي، مما جعله قبلة للباحثين، فعكفوا على تفسيره بالبحث والدراسة، فتعددت الدراسات حوله، وكثرت كثرة غامرة، انتظمت جوانب عديدة من فكر الشيخ واجتهاداته وآرائه في تفسيره، إلا أن جُلَّ هذه الدراسات والبحوث بعيدة عن موضوع بحثي هذا، لا تلتقي معه لا في الفكرة، ولا في المعالجة، بل منها دراساتٌ عُنيت بمنهجية الشيخ في تفسيره، وأخرى عُنيت باستدراكات الشيخ على من سبقه من المفسرين من خلال تفسيره، وثالثةٌ أُعِدَّتْ حول المناسبات وأثرها في تفسير الشيخ، ورابعة اهتمت بدراسة أساليب بلاغية معينة تناولها ابن عاشور في تفسيره بالدرس والتطبيق، كالقصر، والاستئناف البياني، والاستعارة التمثيلية، والاستفهام، فضلا عن دراساتٍ انصبَّت على اتجاهاتٍ عديدة للشيخ في تفسيره، في المقاصد، والعقائد، والاختيارات الفقهية، والجهود البلاغية، والدراسات اللغوية، وقد جمعها البعض فربَتْ على خمسين أطروحة حول هذا التفسير الجليل، غير أني أقتصر هنا على إيراد ما له اتصال وثيق بهذا البحث، ويتمثل ذلك في دراستين، بيانهما كالآتي:

❁ **الدراسة الأولى:** دلالة التقديم والتأخير في سورة البقرة (التحرير والتنوير أنموذجًا) الكاتب: ابن عزوزي مريم – جامعة حسيبة بن بو علي – الشلف – الجزائر، إشراف: د/ ابن عربية راضية، وهو بحث صغير منشور في مجلَّة: لغة كلام – العدد: (٠٦)- ديسمبر ٢٠١٧م.

وقد صُدِّرت هذه الدراسة بتقدمة عن: دلالة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، ثم تناولتْ تقديم الخبر على المبتدأ، صوَرُهُ وأغراضُه، وتقديم المسند إليه، والتقديم والتأخير بين المفعول والفعل، كما تناولت الدراسة بعض دلالات التقديم والتأخير، والتي منها: السبق، والوجوب والتكليف، والسببية، والتشريف، والرتبة، والاعتناء بشأنه... إلخ.

وقد خلص البحث إلى أن التقديم يكون دائما لغرض يتعلق بالمعنى لا بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلام.

كما خلص إلى أن التقديم والتأخير لهما دلالة في التركيب، حيث يزيدان من رونق العبارات ويعطيان الأسلوب سمة خاصة

❁ **الدراسة الثانية:** أغراض التقديم والتأخير في القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير والتنوير للإمام العلامة محمد الطاهر بن عاشور «جزء تبارك أُنموذجًا»، مذكرة تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الإسلامية، إعداد الطالبتين: آمنة بو عزيز، و منال حمدي، بإشراف: أ/ غريسي محمد الصالح - جامعة الشهيد محمد لخضر - الوادي - الجزائر- معهد العلوم الإسلامية- قسم الحضارة الإسلامية.

وهذه الدراسة تطرقت فيها الباحثتان لتعريف كل من التقديم والتأخير، مع ذكر أنواعه، وأهم أغراضه البلاغية، وذِكْر بعض حالاته، والتعرف على آراء ابن عاشور فيه، وتوصل البحث في نهايته إلى أهم الأغراض البلاغية التي ذكرها ابن عاشور في تفسيره لجزء تبارك، ومنها: الاختصاص، والعناية، والاهتمام، والترتيب ورعاية الفاصلة، والتشويق.

ووجه **تَمَايُزِ هذه الدِّراسَةِ** عن • تلكم الدراستين من جهتين:

الأولى: من جهة الكَمِّ، فقد اكتفتْ إحدى الدراستين بدراسة نماذج قليلة من سورة البقرة، بينما تناولت الأخرى أغراض التقديم والتأخير في جزء واحد من القرآن الكريم، وهو: (جزء تبارك) لا غير، وهذهِ الدراسة تميَّزتْ بشمولها القرآن الكريم كاملا.

الثانية: من جهة نقطة البحث، فالدراستان السابقتان عامَّتان في كل أنواع التقديم والتأخير، وهذهِ الدراسة معنية بتقديم المجرور على عامله خاصة، وهو ما لم يتم تناوله في دراسة مستقلة شاملةٍ لما ورد من ذلك في القرآن الكريم كله - في حدود ما وقفت عليه من دراسات حول تفسير التحرير والتنوير-.

منهج الدراسة

المنهجُ المتَّبَعُ في هذهِ الدِّرَاسَةِ منهجٌ وصفِيٌّ استقرائي يستخْدِمُ التَّحْلِيلَ أداةً للتَّوَصُّلِ إلى أَدَقِّ النَّتَائِجِ الممْكِنَةِ.

وقد قامت الدراسةُ على زهاء (٣٢٠) موضعا أورَدَها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسِيرِه ذاكرا أغراض تقديم المجرور على عامله فيها، ثم صنَّفتِ الدراسةُ تلك الأغراض، مبتدئةً بين يَدَيْ كلِّ غرضٍ بتوطئةٍ مختصرةٍ شاملةٍ عن الغرض المدروس؛ لإعطاء صورةٍ كاملةٍ عنه، مكتفيةً بإيراد نماذج من تلك الأغراض للدراسة المتأنِّيَةِ الوافيَةِ؛ لإبرازِ السر البلاغي والأثرِ المعنويّ المترتِّبين على تقديم المجرور على عامله، وذلك من خلال ما ذكره ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مستعينةً في دراسةِ كلامِهِ بما كتبهُ غيرُه من المفسرين، وعلماءِ اللغة والبيان.

وقد راعتْ الدراسةُ في انتقاء تلكَ النماذج المدروسة أمرين اثنين:

أولهما: تناسبُ عددِ النماذج مع الغرض المدروس الذي تنتمي إليه غالبا، فكلَّمَا كانت الآيات المندرجة تحت ذلك الغرض أكثر اقتضى ذلك زيادَة عددِ النماذجِ المدْرُوسَةِ فيه.

ثانيها تغطيةُ النَّماذجِ المنتقَاةِ للدراسة جميعَ الأغراض البلاغية التي أوردها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ لتقديم المجرور على عامله.

إجراءات المنهج

تمَّت مراعاةُ الخطوات الإجرائيَّةِ الآتية في تنفيذِ منهج الدِّرَاسَةِ عند معالجةِ الآيات المدروسة، وفيما يأتي بيانُها:

١ – تصدير نماذج الدراسة بذكْر الآيةِ القرآنيةِ التي قُدِّمَ فيها المجرور على عامله، مكتوبةً بالرسم العثمانيّ، موضوعةً بين قوْسَيْن مزَهَّرَيْن، ووضعِ رقْم الآية في دائرة مُصْحَفِيَّةٍ في نهاية النّصِّ الكريم، مع عَزْوِ كلّ آيةٍ إلى سورَتها بوضع اسْمِ السورة بيْنَ معكوفتين: [] عَقِيبَ إيرادِهَا؛ حتى لا تَثْقُل الهوامشُ.

٢- ذكر نصّ كلام الإمام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في علَّةِ تقديم المجرور على عامله، موضوعا بين علامتي تنصيص، مع عزوه إلى موضعه من تفسيره.

٣- دراسة كلام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع بيانِ الآثارِ المعنويَّةِ، المترتبَةِ على تقديم المجرور على عامله، والأغراض البلاغية الناجمة عن ذلك، ومدى إسهامِهِ في إثراء المعاني القرآنية بما يُجَلِّي قَضِيَّةَ إعجَازِ القُرْآنِ الكريم في ترتيبه، مع الاستعانة في ذلك بكلام أهل العلم الراسخين.

٤- كتابةُ الآياتِ القرآنية بالرسم العثماني، وتمييزُها مِنْ غَيْرِها بَوضْعِهَا بَيْنَ قَوْسَيْن مُزَهَّرَيْن.

٥- ذكرُ بياناتِ المصادِرِ والمراجِعِ وافيةً عند أوّل مرّاتِ ذِكْرِها ثم أُعيدَ ذِكْرُ بياناتِ المصادر والمراجع مجتمعةً في فَهْرَسٍ مُخَصَّصٍ للمصادِرِ والمراجِعِ ضِمْنَ الفَهَارِسِ والكشَّافات التي ذُيِّلتْ بها الدراسة.

٦- بيانُ تفاصيلِ النَّقْلِ والإفَادَةِ من المصادِرِ والمراجِعِ، فإن كان المنقولُ نصًّا من كتابٍ يوضَعُ النصُّ بين علامَتَيْ تَنْصِيصٍ، هكذا: « ... »، ويُذْكَرُ في الحاشية اسمُ الكتاب.

٧- ضبطُ ما الْتَبَس بغَيْرِه من الكلمات؛ إبعادًا للقارئِ عن الخلْط، وإبانةً للمراد مِن الكلام.

حدود الدراسة

تَوَسَّعَ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم، وعرض لذكر أنواع التقديم والتأخير، وأغراض ذلك، وهذا البحث مقتصر على دراسة الأغراض البلاغية، والآثار المعنوية لنوع واحد من أنواع التقديم التي حفل بها تفسير ابن عاشور، ألا وهو: تقديم المجرور على عامله، دون التطرُّق إلى ما عداها من أنواع التقديم، إلا أن يستعان بشيء من ذلك في معالجة بعض نماذج الدراسة، فيُذكرُ ذلك عَرَضًا لا غَرَضًا، وتبعًا لا قَصْدًا.

أسئلة الدراسة

يأملُ الباحث أن تُجيبَ دراستهُ عن الأسئلة الآتية:

١ – ما أهم الأغراض البلاغية الكامنة وراء تقديم المجرور على عامله عند الطاهر بن عاشور؟

٢ – ما مدى اهتمامِ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره بمسألة تقديم المجرور على عامله ؟

٣ – ما مدى إسهامِ هذه الظاهرة البلاغية في إثراء المعنى القرآني، وتجلية وجوه إعجازه؟

٤ – ما أكثر أغراض تقديم المجرور على عامله ورودًا عند الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ؟

أهداف الدراسة

يمكنُ تلخيصُ أهدافِ الدِّرَاسةِ فيما يأتي:

أ- إبرازُ دوْر بلاغة التقديم والتأخير في إثراء المعاني القرآنية، وتجلية وجوه الإعجاز من خلال دراسة أغراض فرد من أفراده، وهو تقديم المجرور على عامله.

ب- بيان اهتمام علم من أعلام التفسير وهو ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ بهذه القضية، وكيفية توظيفها، في فهم معاني القرآن الكريم، وبيان إعجاز تراكيبه.

جـ- جمع أغراض تقديم المجرور على عامله من خلال تفسير التحرير والتنوير، وإحصاء مواطنها، ودراسة بعضها؛ لبيان أهمية هذا الأسلوب في تصوير المعاني القرآنية.

خُطَّـةُ الدِّرَاسَةِ

اقتضت طبيعةُ هذه الدراسةِ أن تَقَعَ في ثلاثة مباحثَ تَسْبِقُهَا مقَدِّمَةٌ وتَمْهِيدٌ، وتقْفُوهَا خاتِمةٌ، وعددٌمن الفهارِسِ العلميَّة.

أما المقدمة فتشتمل على:

١ – أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢ – الدراسات السابقة.

٣ – منهج الدراسة.

٤ – حدود الدراسة.

٥ -أسئلة الدراسة.

٦ -أهداف الدراسة.

٧-خطة الدراسة.

وأما التمهيد: ففي (التعريف بابن عاشور وكتابه، وبقضية البحث) فيشتمل على أمور ثلاثة:

أولا: التَّعريف بالطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثانيا: التعريف بكتاب: (التحرير والتنوير).

ثالثا: التقديم والتأخير، مفهوما، وبلاغة، وأنواعا.

❁ **وأما المبحث الأول: فهو بعنوان: تقديم المجرور على عامله لغرض واحد. وفيه مطلبان:**

❁ **المطلب الأول: تقديم المجرور على عامله لغرضٍ واحدٍ كثيرِ الدَّوْرِ في القرآن الكريم.** وفيه:

أولا: تقديم المجرور على عامله لغرض الاهتمام.

ثانيًا: تقديم المجرور على عامله لغرض الحصر وما في معناه.

ثالثًا: تقديم المجرور على عامله لغرض رعاية الفاصلة.

❁ **المطلب الثاني: تقديم المجرور على عامله لغرضٍ واحدٍ قليلِ الدَّورِ في القرآن الكريم.**

وفيه التقديم للأغراض الآتية:

أولا: التنبيه.

ثانيًا: الإجمال قبل التفصيل.

ثالثًا: مراعاة النظير.

رابعًا: التشويق.

خامسًا: إفادة معنى الشرط.

سادسًا: التقَوِّي والتأكيد.

سابعًا: التعريض.

❁ ❁ ❁

❁ **وأما المبحث الثاني: فهو عن: تقديم المجرور على عامله لأكثر من غرض. وفيه مطلبان:**

❁ **المطلب الأول: تقديم المجرور على عامله لغرضين.** وفيه ما يلي:

أولا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع رعاية الفاصلة.

ثانيا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع القصر وما في معناه.

ثالثًا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع التشويق.

رابعا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع رعاية النظير.

خامسًا: تقديم المجرور على عامله للتَّقَوي مع القصر أو مع رعاية الفاصلة.

❁ **المطلب الثاني: تقديم المجرور على عامله لثلاثة أغراض.** وفيه ما يلي:

أولًا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام، والقصر، ورعاية الفاصلة.

ثانيًا: تقديم المجرور على عامله ، للاهتمام، والتشويق، ورعاية الفاصلة.

ثالثًا: تقديم المجرور على عامله ، للاهتمام، والتعريض، ورعاية الفاصلة.

رابعًا: تقديم المجرور على عامله للتنويه، والتنبيه، ورعاية الفاصلة.

❁ **وأما الخاتمة:** فتتضمن: أَهَمّ النَّتَائِجِ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا الدِّرَاسَةُ.

❁ **وأما الفهارس العلميّة: فتتضمن:**

* فهرس الآيات القرآنية المدروسة.
* فهرس المصطلحات.
* فهرس المصادر والمراجع.
* فهرس الموضوعات.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التَّمْهِيدُ

(التعريف بابن عاشور وكتابه، وبقضية البحث)

ويشتمل على ما يأتي:

- **أولا: التَّعريف بالطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.**
- **ثانيا: التعريف بكتاب: (التحرير والتنوير).**
- **ثالثا: التقديم والتأخير مفهوما، وبلاغة، وأنواعا.**

❖ أولا: التَّعريف بالطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]

يحسن بنا – ونحن بصدد دراسة قضيّةٍ بلاغيةٍ من قضايا تفسير (التحرير والتنوير) لصاحبه العالم النحرير والمفسر الكبير الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أن نعَرِّفَ بهذا الكتاب وبكاتبِهِ، تعريفًا موجَزًا يُبرِزُ لنا منزلةَ ذلكم العَلَم بين أعلام المفسرين، ومكانةَ تفسيره بين أمهاتِ كتب التفسير، وسنوجِزُ القول نقلًا عن المصادر التي ترجمت له في: اسمِه ونسبِهِ – مولدِهِ ونشأتِهِ – حياتِهِ العلميَّةِ والعمَلِيَّةِ – آثارِهِ ووفاتِهِ.

(أ) اسمه ونسبه:

هو مُحَمَّدُ الطَّاهِرُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بنِ عاشورٍ التّونسِيّ، سليلُ بيت العلم والقضاء، والإفتاء، فوَالِده الشَّيْخ مُحَمَّدُ ابْن عاشورٍ، انتهت إليه رئاسة مجْلِس إدارة جمعية الْأَوْقَاف، وجدُّه مُحَمَّدُ الطَّاهِر بنُ عاشور، تقلَّد مناصب هَامة كالقضاء، والإفتاء، والتدريس، والإشراف على الْأَوْقَاف الْخَيْرِيَّة، والنظارة على بَيت المَال.

(ب) مولده ونشأته:

وُلِدَ ابنُ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالمَرْسَى (ضاحيةٌ من ضواحي العاصمةِ التونسيّةِ) فِي جُمَادَى الأولى سنة ١٢٩٦هـ الْمُوافق لشهر سبتمبر ١٨٧٩م.

---

(١) تنظر ترجمته في: كتاب: تونس وجامع الزيتونة للإمام: محمد الخضر حسين (١٣٧٧ هـ)- دار النوادر – سورية- دمشق – الطبعة الأولى- ١٤٣١هـ= ٢٠١٠م (ص: ١٣٥)، والأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فاري الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م. (٦/ ١٧٤)، وتراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ (ت: ١٤٠٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م. (٣/ ٣٠٤)، ومعجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لعادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م. (٢/ ٥٤١)، والموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم» جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرين، الناشر: مجلة الحكمة- مانشستر – بريطانيا- الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. (٣/ ٢٥٦٥).

نشأ الشيخ فِي بيئة علمية، وشبَّ فِي وسط علمي بين جَدِّه لأبيهِ قَاضِي قُضَاة الْحَاضِرَة التونسية وجَدِّهِ لأُمِّهِ الشَّيْخ مُحَمَّد الْعَزِيز بوعتُّور، فحفظ الْقُرْآن الْكَرِيم فِي الكتاب حفظا متقنا مُنْذُ صغر سنه وَحفظ الْمُتُون العلميَّة كَسَائِر أَبنَاء عصره، ثم تعلّم ما تيّسر من اللّغة الفرنسيَة، والْتَحَقَ بجامعِ الزيتونَةِ فِي سنَةِ ١٣١٠ – ١٨٩٢.

وقرأ بجامع الزيتونة على جماعةٍ من أعلامِه منهم: إبراهيمُ المارغني، وسالمُ بو حاجب، وعمرُ بنُ الشيخ، ومحمدُ النجار، ومحمدُ بنُ يوسفَ، ومحمدُ النخلي، إلى أن أَحْرَزَ شهادةَ التطويعِ سنة ١٣١٧/ ١٨٩٦، وهي أعلى شهادة علمية كان يمنحها جامع الزيتونة بتونس، واستمر العمل بها إلى سنة ١٩٣٣.

(ج) حياته العلمية والعمليَّه:

كان الشيخ أحدَ كبار علماء تونس، مفسرًا، لغويًّا، نحويًّا، أديبًا، من دُعاة الإصلاح الاجتماعي والدّيني، وكانت حياتُه العلمية حافلةً بالتدريس والتصنيف، حيث درَّس في جامع الزيتونة، وفي المدرسة الصادقيّة، وشارك فِي العديد من المناظرات في تونس، والعديد من الملتقيات الإسلامية فِي الْمشرق الْعَرَبِيّ وأوروبَّا، واستانبول، وكَانَ عضوا مراسلا لمجمع اللُّغَة الْعَرَبيَّة بِالْقَاهِرَةِ سنة: (١٩٥٦م)، وبالمجمع العلمي الْعَرَبِيّ بِدِمَشْق سنة: (١٩٥٥م)، واشْتهر بِالصبرِ والاعتزاز بِالنَّفسِ والصمود أَمَام الكوارث، والترفع عَن الدُّنْيَا.

كما كانت حياتُه العمَلِيَّةُ حافلةً بالمناصب التي تقلَّدها، وسعى من خلالها للإصلاح ما استطاع إلى ذلك سبيلا، حيث عُيِّن شيخًا للإسلام مالكيًّا (سنة ١٩٣٢م)، وسمي شيخَ الجامعِ الأعظم وفروعِهِ عام (١٩٤٢م)، ثم شيخًا عميدًا للجامعة الزيتونيّة عام: (١٩٥٦م)، كما شارك في تأسيس الجمعية الزيتونية، والجمعية الخلدونية.

كذا عُيِّن نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة، فابتدأ أعمالَه بإدخال نُظُم مهمَّةٍ على التعليم بحسب ما سَمَحَ به الحالُ، وسعى في إِحياءِ بعض العلوم العربية التي كانت مقتصرَةً على النحو والبلاغة، فأكثر من دروس الصرف في مراحل التعليم الثّلاث، ومن دروس أدب اللغة، ودرَّسَ بنفسه شرحَ ديوان الحماسةِ الذي أبدى فيه ضلاعةً في اللُّغة، والنقد، وسُمُوِّ الذوق، وحاز به شهرة.

(د) آثـــاره ووفاته.

خلَّف الشيخ قبل رحيله تراثا علميًّا تليدًا، وثروة معرفية عظيمة من التصانيف النافعة، والتآليف الرائعة، التي أمضى في تصنيفها سِنِي عمُره، ومن أشهرها:

١-**أصـــول الإنشاء والخطـــابة**. طبع بمطبعة النهضـة- تونس – الطبعة الأولى ١٣٣٩هـ.

٢-**أليس الصبح بقريب**. نشر مشترك بين دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، ودار السلام للنشر والتوزيع-القاهرة- الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

٣-**التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم** طبع عدة طبعات، أشهرها: طبعة الدار التونسية ١٩٨٤م.

٤-**حاشية على التنقيح للقرافيّ في أصول الفقه**. طبعته مطبعة النهضة – تونس الطبعة الأولى ١٣٤١هـ.

٥-**كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطَّا**. نشر مشترك بين دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، ودار السلام للنشر والتوزيع-القاهرة- الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٧م.

٦-**مقاصد الشريعة الإسلامية**.من منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية–قطر ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.

٧-**موجـــز البـــلاغة**. كانت طبعته الأولى بالمطبعة التونسية – نهج سوق البلاط- تونس ١٣٥١هـ.

٨-**النظام الاجتمـــاعي في الإسلام**. طبع ونشر بمطبعة الشركة التونسية للتوزيع- تونس ١٩٨٥م.

وبعد أن عاش الشَّيْخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حياةً مليئةً بالعلم والإصلاح، حافلةً بالعطاء تدريسًا وتصنيفًا وافَتْـهُ منيَّتُهُ، ولحق بربِّهِ يَوْم الْأَحَد الثالث عشر من شهر رجب سنة: ١٣٩٣هـ الموافق للثاني عشر من شهر: أوت (بالفرنسية) = أغسطس ١٩٧٣م، وَدُفِنَ بمقبرة الزَّلَّاج بِمَدِينَة تونس، فرحمه الله تعالى رحمةً واسعةً، وأمطرَ قبرَه بوابل المغفرة، وسحائب الرضوان.

۞ ۞ ۞

❁ ثانيًا: التعريف بكتاب: (التحرير والتنوير)

لا يخفى على أحد من المشتغلين بعلم التفسير، المطالعين لما خطَّته أقلامُ المفسرين أن تفسير الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أنفسِ ما كتب في هذا الميدانِ، سمَّاه الشيخ: (تحريرَ المعنى السديدِ وتنويرَ العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، ثم اختصر هذه التسمية إلى: (التحرير والتنوير من التفسير)[١].

وقد أمضى الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تصنيف هذا التفسير الكبير سنين طوالًا رَبَتْ على الأربعين، وصاحبُ الكتاب أخبر بما أودعهُ فيه، ومن يستنطق مقدّمة الكتاب يُسمعُهُ الشيخُ العجبَ العجابَ.

فقد أبان فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أكبر أمانِيهِ منذ أمَدٍ بعيدٍ، ألا وهي تفسير كتاب الله المجيد[٢]، مؤمِّلًا أن يبدي في تفسير القرآن نُكتًا لم يُسبق إليها، دون الاقتصار على الحديث المُعاد، ففي ذلك تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاد، آخذًا على الناس في زمانه عكوف بعضهم على ما شاده الأقدمون دون تجديد، ومسارعةَ آخرين إلى هدم تراثهم التّليد، وعنده كلا طرفي قصد الأمور ذميم، فالمنهج القويم، والموقف السديد السليم يوجب تهذيب ما شادوه، وتتميم ما أسَّسوه[٣].

وقد أشار ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى جمهرة من المفسرين الأجلاء، الذين تعتبر تفاسيرهم أصلا يُرجَع إليه، وأساسًا يُبنى عليه، وفي طليعةِ من ذَكرَهم الزمخشريُّ، وابنُ عطية، فقد اعتبرَهما ابنُ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عُضَادتَا الباب، ومَرجِعَ مَنْ بعدَهُمَا من أولي الألباب، غير أن منحى البلاغة والعربية بالزمخشريّ أخص، ومنحى الشريعة على ابن عطية أغلب[٤].

---

(١) التحرير والتنوير للشيخ/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس- سنة النشر: ١٩٨٤ هـ ١/ ٨ ، ٩.

(٢) السابق ١/ ٥.

(٣) السابق ١/ ٧.

(٤) السابق ١/ ٧.

وقد جلَّى ابنُ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة تفسيره جهات الإعجاز الأربعة، ومنها ما يتعلق بكيفيات نظمه المفيدةِ معانيَ دقيقةً، ونكتًا من أغراض الخاصة من بلغاء العرب مما لا يفيدُه أصل وضع اللغة، ومرجعُ هذه الجهة عنده إلى ما سمَّوه بـ: (حدِّ الإعجاز)، وهو ما وصفه علماء البلاغة بما دوَّنوه في علمي المعاني والبيان، وذكرَ أنه محيلٌ في كليَّات ذلك على تصانيف علم البلاغة العتيقة كـ: (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة) كلاهما لعبد القاهر الجرجاني، و(مفتاح العلوم) للسكَّاكي، ونحوها.

ومحيلٌ في تفاصيل ذلك على كشّاف الزمخشري، فالكشاف في نظر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو العمدة في تبيين وجوه إعجاز القرآن الكريم، ولذا أكثر من الإحالة إليه في تفاصيلها الواصفة لإعجاز آي القرآن، مع ما يفتح الله به عليه مما يستنبطه هو ويبتكره في تفسيره[1].

وقد أخذ على نفسه ألَّا يُغفِل التنبيه على ما يلوح في آيةٍ من آي القرآن من دقائق البلاغة بحسب مبلغِ الفهم، وطاقة التدَبُّر، كما اهتمَّ في تفسيره ببيان وجوهِ الإعجازِ، ونُكَتِ البلاغة العربية وأساليب الاستعمال[2].

ومما سبق تلوح أمارات المكانة السامية لهذا الكتاب بين كتب التفسير، خصوصا في ميدان البلاغة، بأساليبها الراقية، ودقائقها السامية، ومرَدُّ هذه المكانةِ إلى الأمور الآتية:

أ-مكانة مصنفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ بين علماء عصره، فقد كان أحدَ أعلام زمانه علمًا وعملًا، وشيخًا من شيوخ عصرِه أدبًا وفضلًا، ولا شك أن مكانة الكتاب مستمدَّةٌ من مكانة كاتبه، فترى النفوس إلى هذا الكتاب توَّاقة؛ لكون صاحبه من أوعية العلم، وأذكياء العصر.

ب-الزمان الطويل الذي استغرقه الشيخ في تصنيف الكتاب يدل دلالة واضحة على أنه أودعه خلاصة مطالعاته، وثمرة اجتهاداته، وصفوة ما نقله وتلَقَّاه، وألطف ما جادت به قريحته مما فتح عليه به مولاه، مع ما يدل عليه طول الملازمة من التجويد والتحبير، والتدقيق والتحرير،

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٠٤ - ١٠٦.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٨.

وهذا يجعل العمل أجود، وبين نظائره أنفس.

جـ- كون الكتاب جامعا بين ما شاده الأقدمون منقَّحًا مهذَّبًا، وبين ما فتح الله لصاحبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ من فهم في معاني القرآن الكريم ومقاصده، وما جلبه من المسائل العلمية مما لم يذكره المفسرون، مع سلامته مما عابه على كثير من كتب التفسير من النقل المجرد، والاقتصار على الحديث المعاد المكرر[1]، مع ما تضمنه الكتاب من عناية مصنفه الفائقة بدقائق البلاغة، وبيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليبها، فضلا عن اهتمام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه بتناسب الآي واتصالها، ومقاصد السور وأغراضها، وما فيه من تحقيق معاني بعض المفردات التي خلت عنها قوامس اللغة، ففي هذا الكتاب -كما وصفه صاحبه- أحسن ما في التفاسير، وفيه أحسن مما في التفاسير[2]، وذاك هو الذي أكسب الكتاب تلك المكانة العالية، والمنزلة السامية فهو ليس كأيّ كتاب.

د- ما اشتمل عليه الكتاب من مناقشاتِ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن سبقه من المفسرين، وانتقاداتِه لبعض آرائهم مع بيان وجه الصواب فيها، مما يدل على أن لصاحبه علمًا واسعًا، وعقلاً كاملاً، وعزمًا ثاقبًا، ولُبًّا راجحًا، وهذا يجعل طلاب العلم أكثر إقبالا عليه، وأشد تمسكا بكتابه ورجوعا إليه، وتحكيمه فيما شجر بين المفسرين؛ لسداد رأي صاحبه، ورجاحة عقله.

(١) التحرير والتنوير ١/ ٧.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٨.

❁ ثالثا: التقديم والتأخير مفهوما، وبلاغة، وأنواعًا.

عرض اللغويون لدراسة ظاهرة التقديم والتأخير في العربية من جهتين، إحداهما من الجهة النحوية التركيبية، والأخرى من الجهة البلاغية الأسلوبية، فالنحويون يهتمون بدراسة وظيفة الكلمة في جملتها، وترتيبِها في تركيبِها، ذلك أن لكل كلمة في الجملة العربية موقعا معيّنا ينبغي أن تكون فيه، وقد يأتي الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيقدَّمُ ما حقه التأخير، أو العكس، فيحاولون تعليلَ مخالفة الترتيب المألوف تقديمًا وتأخيرا بعلل نحوية.

بيد أن البلاغيين صرفوا عنايتهم إلى الجهة البلاغية الأسلوبية، جاعلين المعنى قُطبا ومحورا لمخالفة مقتضى الظاهرِ ومألوفِ الترتيب في الكلام، فنجد أغراض التقديم عندهم تفوق أسبابَه عند النحاة بكثير.

وهذه الدراسة وثيقة الصلة بمنهج البلاغيين في تعليل ظاهرة التقديم والتأخير، وتَلَمُّسِ أغراضها؛ لأن قطبهم فيها هو المعنى، والمقصود هنا دراسة الأغراض البلاغيَّة لتقديم المجرور على عامله، والآثار المعنوية المترتِّبة على ذلك، وإسهام ذلك في إثراء المعنى القرآني، واتساع مدلولاته، عند أحد المفسرين المعنيين بالدقائق البلاغية، وتجلية وجوه إعجاز القرآن الكريم، سيما أنه أولاها فائق عنايته، وتوسَّع في ذكر أغراضها.

والجار والمجرور من المتعلقات التي حقها التأخير، ولا يُقدم في الكلام على متعلَّقه عبثا أو جزافا، بل لأغراض تبيح ذلك وتسوغه، ولئن جاز تقديم المجرورِدون ثمرةٍ وفائدةٍ في كلامٍ بليغٍ من البلغاء فكلام الله تعالى منزَّهٌ عن ذلك، لا يُقَدَّمُ فيه ما حقُّه التأخيرُ إلا لحكمةٍ بالغةٍ، عرَفَهَا من عَرَفَهَا، وجهِلها من جهِلَها، فلا وجه لتقديم شَيءٍ من كتاب الله عن موضعه أو تأخيرِه عن مكانه إلا بحجةٍ ودليلٍ.

وفيما يلي بيان موجز لمفهوم التقديم والتأخير في اللغة، وعند النحاة والبلاغيين.

❁ ❁ ❁

❁ مفهوم التقديم والتأخير.

التَّقديمُ في اللغة: مصدر (قدَّم) مضعَّف العين، والقافُ والدّالُ والميمُ أصل صحيحٌ يدلّ على السَّبْقِ[(١)]، وغالب ما استعملته العرب من هذه المادة يشير إلى معنى السبق، ومن ذلك: قَيْدُوم الجَبَل: أَنْفٌ يَتَقدم منه، وهو من كل شيء مُقَدَّمُه وصَدْرُه(٢)، وقادِمَة الرَحْل وقيدومُه: الخشبةُ التي في مقدَّمه عند كَوْر البعير، والمقدِّمُ في أسماء الله تعالى: هُوَ الَّذِي يُقَدِّم الأَشياءَ وَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا، فَمَنِ اسْتَحَقَّ التَّقديم قدَّمه(٣)، والقَدَمُ أيضاً: السابقةُ في الأمر. يقال: لفلان قَدَمُ صدقٍ، أي: أثرةٌ حسنةٌ، قال الأخفش: هو التَقْديمُ، كأَنَّه قَدَّمَ خيراً وكان له فيه تَقْديمٌ[(٤)].

والتأخير في اللغة: مصدر الفعل: (أَخَّر) مضعَّف العين، وهو في اللغة: خلاف التقديم، فالْهَمْزَةُ وَالْخَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ إِلَيْهِ تَرْجِعُ فُرُوعُهُ، وَهُوَ خِلَافُ التَّقَدُّمِ[(٥)]، وَهَذَا

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ) تحيقق: عبد السلام محمد هارون-دار الفكر-بلا طبعة، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م، بَابُ الْقَافِ وَالدَّالِ وَمَا يَثْلُثُهُمَا [قدم] ٥/ ٦٥.

(٢) ينظر: المخَصَّص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت -الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م، باب الجبال وما فيها، ٣/ ٤٧، وأساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود -دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م. [ق د م] ٢/ ٥٩، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م. [قدم] ٤/ ١٧٤٨.

(٣) ينظر: لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ) -دار صادر – بيروت-الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ. فصل القاف، [قدم] ١٢/ ٤٦٥، ٤٦٩.

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار -دار العلم للملايين – بيروت-الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ =٩٨٧ م. ٥/ ٢٠٠٧.

(٥) ينظر: معجم مقاييس، بَابُ الْهَمْزَةِ وَالْخَاءِ وَمَا مَعَهُمَا فِي الثُّلَاثِيِّ [أخر] ١/ ٧٠.

قِيَاسٌ مأخوذٌ عَنِ الْخَلِيلِ، فَإِنَّهُ قَالَ: الْآخِرُ نَقِيضُ الْمُتَقَدِّمِ[1]. ومن أسماء الله تعالى: المؤخِّر، وهُوَ الَّذِي يؤَخَّر الْأَشْيَاءَ فَيَضَعُها فِي مَوَاضعها، وَهُوَ ضِدُّ المقدِّم[2].

والتأخير في الاستعمال النحوي: حالة من التغيير تطرأ على جزء من أجزاء الجملة، توجب وضعه في موضع لم يكن له في الأصل[3].

ويبدو لي أن هذا التعريف صالح تماما لتعريف التقديم بمعناه النحوي، فكُلًّا من المقدَّم والمؤخَّر تطرأ عليه حالة من التغيير توجب نقله من موضعه الذي يستحقه إلى موضع ليس له، فإن كان موضعه المستَحَقُّ له مؤخَّرا ثم نقل ليكون سابقًا كان ذلك تقديما، كما في تقديم المفعول، والخبر، والظرف، والمجرور، وإن كان موضعه المستَحَقُّ له في الجملة سابقا متقدِّمًا ثم نقل ليتأخر كان ذلك تأخيرا.

والتقديم أصل في بعض العوامل والمعمولات، إلا أنه قد تطرأ أسبابٌ نحوية أو بلاغيةٌ أو عروضيَّةٌ تقتضي تقديم ما هو مؤخر في الأصل، أو تأخير ما هو مقدم في الأصل[4].

والتَّقديم والتَّأخير في البلاغة العربية يعني: تغيير التّرتيب الطبيعيّ لأجزاء الجملة؛ لغرض بلاغيّ كالاهتمام، أو التشويق، أو الحصر ونحوها، وهو أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة، وملكتهم في الكلام، وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق[5].

---

(١) ينظر: معجم العين للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال بلاطبعة ولا تاريخ. [أخر] ٤/ ٣٠٣.

(٢) ينظر: لسان العرب، فصل الألف، [أخر] ٤/ ١١، ١٢.

(٣) معجم المصطلحات النحوية والصرفية، للدكتور/ محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ= ١٩٨٥م. (باب الهمزة – التأخير ص: ٩).

(٤) ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية. (باب القاف– التقديم ص: ١٨٣).

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م. ٣/ ٢٣٤.

واختلف البلاغيون في عَدِّهِ من المجاز، فمنهم من عدَّه منه؛ لأنه تقديم ما رُتْبَتُهُ التأخير كالمفعول، وتأخيرُ ما رُتْبَتُهُ التقديم كالفاعل، نُقِلَ كل واحد منهما عن رُتْبَتِهِ وحقّه.

قال الزركشيُّ: والصحيح أنه ليس منه؛ فإن المجاز نَقْلُ ما وُضِعَ له إلى ما لم يوضع[(١)].

✿ ✿ ✿

❁ بلاغة التقديم والتأخير.

وأما عن القيمة البلاغية للتقديم والتأخير بين مباحث علم البلاغة العربية فَيُنْبِيكَ عنه أحدُ أبرزِ أساطينِها، إنه العلامة عبد القاهر الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "هو بابٌ كثيرُ الفوائدِ، جمُّ المحاسنِ، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يزالُ يَفْتَرُّ لكَ عن بديعةٍ، ويُفضي بك إلى لطيفةٍ، ولا تزالُ ترى شعرًا يروقُكَ مسمَعُهُ، ويَلْطُفُ لديكَ موقِعُهُ، ثم تَنظرُ فتجدُ سَبَبَ أن رَاقَكَ ولَطُفَ عندَكَ أن قُدّمَ فيه شيءٌ، وحُوِّلَ اللَّفْظُ عن مكانٍ إلى مكانٍ"[(٢)].

وباب التقديم والتأخير من منظور البلاغة العربية واسعٌ رحيبٌ؛ لشموله أجزاء متعددة من التراكيب، كتقديم المسند على المسند إليه، والعكس، وتقديم بعض متعلقات الفعل عليه، كالمفاعيل، والظروف، والجار والمجرور، وهو مع ذا مترامية أغراضُه، كثيرةٌ دوافعه؛ لأن التقديم والتأخير يكون بحسب المعاني القائمة بنفس المتكلم، وهي لا ريب كثيرةٌ متشعبةٌ.

وبالمجيء إلى تقديم المجرور على عامله – باعتباره قطب هذا البحث الذي عليه يدور– نرى أن بعض البلاغيين وأهلِ البيان –ومنهم الزمخشري– حصروا تقديم متعلقات الفعل عليه – ومنها الجار والمجرور– في الاختصاص لا غير، وقد توسع ابن الأثير فضمَّ إلى الاختصاص

---

(١) ينظر: السابق نفس الجزء والصفحة.

(٢) دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي أبي بكر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة– الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م. ١/ ١٠٦.

غرضًا آخر هو: مراعاة نظم الكلام، وذاك أن يكون نظمه لا يحسن إلا بالتقديم، وإذا أُخر المقدم زال ذلك الحسن، وهذا الوجه عنده أبلغ وأوكد من الاختصاص[(١)].

وقد عاب عبد القاهر على الناس ضربًا من السطحية في التعاطي مع قضية التقديم والتأخير، حيث اكتفوا بذكر الغرض العام كالعناية والاهتمام، دون التعرض لمنشأ تلك العناية، ومبعث ذلك الاهتمام، وذلك أورثهم تصغيرا لأمر التقديم والتأخير، وتهوينا من شأنه، بل أبعد بعضُهم فعدَّه نوعًا من التكلُّف، وضربًا من التعسف[(٢)].

لكن الذين عنوا بأسلوب القرآن الكريم كانت نظرتهم للتقديم والتأخير أوسع، ودراساتهم لأغراضه أعمق، وبحوثهم في ذلك أخصب وأبدع، وعلى رأس هؤلاء عبد القاهر الذي تعدى قضية النحو في أحوال الإعراب والبناء، إلى توخِّي معاني النحو في معاني الكلم، وهو القضية المعروفة بـ(النظم)[(٣)].

وقد سبق أن ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ نصَّ في مقدمة تفسيره أنه عوَّل على أمهات كتب البلاغة في كليات مسائلها، كـ: (دلائل الإعجاز)، و(أسرار البلاغة)، والمفتاح، كما عوَّل على التفاسير المعنية بتفاصيل البلاغة في تقرير معاني القرآن كـ: (الكشاف) للزمخشري[(٤)]، فلا غرابة إذًا في امتلاء تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالأغراض البلاغية للتقديم والتأخير، وذلك لتعدد مشاربه، وتشعب مساربه، فضلا عما أفاض الله تعالى به عليه في جوانب الإعجاز القرآني، ونكاته البلاغية.

---

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت- عام النشر: ١٤٢٠ هـ بلا طبعة. ٢/ ٣٦.

(٢) دلائل الإعجاز ١/ ١٠٨.

(٣) السابق ١/ ٣٦١.

(٤) التحرير والتنوير ١/ ١٠٤ - ١٠٦.

❁ أنواع التقديم والتأخير.

لعل من نافلة القول أن يشار هنا إشارة عابرة إلى أنواع التقديم والتأخير من منظور علماء اللغة، القدامى منهم والمتأخرين، فقد تعددت أنواع التقديم والتأخير عندهم بناء على اعتبارات مختلفة.

فأبو الفتح ابن جنِّي – مثلا – يجعل التقديم والتأخير على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس. والآخر ما يسهّله الاضطرار، ثم يعزو إلى كل ضرب ما يناسبه من المقدَّمات، على أنه يرى أن تقديم متعلَّقات الفعل مقبولٌ قياسًا، لا مما جاز اضطرارًا[(١)].

وأما عبد القاهر فقد جعل التقديم على وجهين:

أحدهما: تقديمٌ على نية التأخير، وذلك إذا بقي حكم المقدَّم على ما هو عليه قبل التقديم، كتقديم خبر المبتدأ عليه، وتقديم المفعول على فعله، فإنهما لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه، من كونِ هذا خبرَ مبتدأ ومرفوعًا به، وكونِ ذلك مفعولا لفعل ومنصوبًا به.

والآخر: تقديمٌ لا على نية التأخير، وهو الذي يُنقل فيه الشيءُ من حكمٍ إلى حكم، ومن معنى إلى معنى، ومن إعراب إلى إعراب، كما في: «زيدٌ المنطلقُ» و «المنطلقُ زيدٌ»، فالتقديم والتأخير يؤثران في معنى الجملة، لأنّ ما يقدَّم هو المبتدأ أو المسند إليه، وما يؤخر هو الخبر أو المسند[(٢)].

وجعله نصر الدين بن الأثير على ضربين:

الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى.

والثاني: يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أُخِّرَ لما تغير المعنى، والأول عنده قسمان:

---

(١) ينظر: الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق د/ محمد علي النجار، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- المكتبة العلمية، بلا طبعة. (٢/ ٣٨٤).

(٢) دلائل الإعجاز ١/ ١٠٦، ١٠٧.

أ- ما يكـون التقـديم فيه هو الأولى والأبلـغ لموضع الاختصـاص.

ب- والآخـر ما يكون التأخير فيه هو الأولى والأبلغ، إما لفائدة تقتضي ذلك، وإما خوفًا من فساد المعنى واختلاله، وجعل تقـديم المعمـول على عامله منـدرجًا تحت النوع الأول من هذين النوعين[(١)].

وقد أطال الزركشي في ذكر أنواع وأسباب وأغراض التقديم والتأخير أرى أن نقلها هنا يثقل البحث، وتكفي الإحالة عليها في موضعها من البرهان[(٢)].

والخلاصـة أن التقـديم والتـأخير منه مـا يتنـاول أصـول الجملـة العربيـة، مـن المسـند والمسند إليه، والفعل وفاعله، ومنه مـا يتنـاول متعلَّقـات الأفعـال مـن المفاعيـل، والظـروف، والمجرورات، ومنه ما لا يرجع إلى أيٍّ منهمـا، وهي تلك التي أوردهـا الزركشـي في البرهـان من مثل: السبق، والرتبة، والداعية، والعلة، والشرف، والغلبة والكثرة، وغيرها.

ومرادنا هنا هو التقديم والتأخير المتنـاول لمتعلقـات العوامـل خاصـة، وتحديـدا تقـديم المجرور على عامله عند الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

والله أسألُ أن يهدينا إلى الصواب، ويوفقنا إليه، إنه جواد كريم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) ينظـر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢/ ٣٥، و الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: د/ مصطفى جواد- د/ جميل سعد- الناشر: مطبعة المجمع العلمي العراقي، عام النشر: ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م، بلا طبعة. (ص: ١٠٩).

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣/ ٢٣٨. بدأ الزركشي من هذه الصفحة ذكر أنواع التقديم والتأخير، وأطال الكلام هنالك، فيمكن الرجوع إليه.

المبحث الأول

تقديمُ المجرورِ علَى عاملِهِ لغَرَضٍ واحدٍ

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تقديم المجرور على عامله لغرضٍ واحدٍ كثيرِ الدَّوْرِ في القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: تقديم المجرور على عامله لغرضٍ واحدٍ قليلِ الدَّورِ في القرآن الكريم.

توطـئة :

الأصـل في الكـلام أن يُقـدَّم العامـلُ على معمولـه، والفعـلُ على متعلَّقَاتِـه، سيَّمـا إذا لـم يوجد ما يقتضي العدول عن هذا الأصل،فإذا وُجِدَ مقتضٍ لفظيٌّ أو معنويٌّ جاز العـدولُ عـن الأصـل، ومخالفةُ الترتيـب المـألوف للجملـة، فتُقـدَّمُ حينئـذٍ بعـضُ متعلَّقـاتِ الفعـل عليـه – ومنها الجار والمجرور –؛ وفاءً بحق اللفظ أو المعنى.

وتبعا لموضوع الدراسة، وحدود البحث فإنَّ المرومَ هنا هو بيان المقتضَيات المعنويّة، والأغراض البلاغية التي ارتكزعليها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تجلية الحكمة من تقديم المجرور على عامله، وقد وُجِدَ أنَّ مُرتكَـزَهُ تارةً يكـون غرضًـا بلاغيًّاواحـدًا، وتـارةً يكـون غرضَـينِ بلاغيَّينِ اثنَيْنِ، وقد تصلُ مرتكَزاتُهُ أحيانًا إلى ثلاثةِ أغراضٍ.

وقد خُصص هذا المبحثُ الأول بمطلَبَيْهِ لدراسة تقديم المجرور على عامله عند ابن عاشـور رَحِمَهُ ٱللَّهُ لغرض واحدٍ اقتضـاه، غير أن ذلك الغرض الواحدَ قد يردُ في كلامه كثيرا مكرَّرًا متناولًا مواضع كثيرةً من تقديم المجرور على ما عمل فيه، وقد يُعَوِّلُ في توجيهِ تقديم المجرور على عامله أحيانًا على غرضٍ بلاغيٍّ قليل الدَّوْرِ في كلامه، فتُلْفِيهِ مذكورًا في تفسيره مرة واحدةً أو بضعَ مراتٍ، وذلك ما دعا إلى تقسيم هذا المبحث مطلبَيْن، أولُهما لما كثر دورُهُ من الأغراض(أي ما تردَّد كثيرا في تعليلات ابن عاشور لقديم المجرور على عامله)، وثانيهما لما قلَّ دوره منها (وهو ما ورد مرَّات قلائل في تعليلاته، وتحديدا ما ورد بين مرة واحدة، إلى ثمان مرات).

✿✿✿

المطلب الأول

تقديمُ المجرورِ على عاملِهِ لغرضٍ واحدٍ كثيرِ الدَّوْرِ في القرآنِ الكريمِ.

وفيه:

أولا: تقديم المجرور على عامله لغرض الاهتمام.

ثانيًا: تقديم المجرور على عامله لغرض الحصر وما في معناه.

ثالثًا: تقديم المجرور على عامله لغرض رعاية الفاصلة.

❁ أولا: تقديم المجرور على عامله لغرض (الاهتمام).

الاهتمام مصدر الفعل اهتَمَّ، وهو يطلق بالاشتراك على معنيين، أحدهما: العناية بالشيء والانشغال به، والآخر: الاغتمام والحزن بسبب حصول شيء من المكدرات.

والذي يميز بين المعنيين هو التعدية غالبا، فإن عُدِّي هذا المصدر أو ما اشتُقَّ منه بالباء أفاد معنى العناية والانشغال بالشيء، نحو قولهم: اهتمَّ فلانٌ باليتامى: انشغل واعتنى بهم ، وقولهم: شرُّ عيوبِنا اهتمامُنا بعيوب الناس، ولنفي العناية بالشيء يقولون: لا يُعيره اهتمامًا، أي: لا يبالي به.

وإن عُدِّي باللام أفاد معنى الحزن والاغتمام، من ذلك قولهم: اهتمَّ فلانٌ لضياع أمواله، أي: حَزِن واغتمّ لأجل فقدانها، وقولهم: يهتمّ المسلمون لما يحلّ بإخوانهم، أي: يحزنون ويغتمون.

وقد يفيد الفعل هذا المعنى الثاني من غير أن يُعَدَّى بحرف الجر؛ ذلك أَنَّ تعديَتَهُ بالهمزة أَغْنَتْ عن تعديته بحرف الجرّ، يُقَالُ: مَعْنَى مَا أَهَمَّكَ: أَي: مَا أَحْزَنَك[1].

ولا ريب أن المعنى المراد هنا في الغرض البلاغي لتقديم المجرور على عامله هو المعنى الأول؛ فمفادُهُ العناية وليس الاغتمام، وقد عبَّر عنه بعض البلاغيين بـ: (العناية) وهم يتحدثون عن علل التقديم والتأخير، يقول السكَّاكي: "... والعناية التامة بتقديم ما يقدم والاهتمام بشأنه نوعان: أحدهما: أن يكون أصل الكلام في ذلك هو التقديم، ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو إلى العدول عنه، كالمبتدأ المعرَّف فإنّ أصله التقديم على الخبر ... وكالعامل فأصله التقدم على معموله ". إلى أن قال:

---

(١) يراجع: الصحاح للجوهري [همم] ٥/ ٢٠٦١، ولسان العرب [هَمَمَ] ١٢/ ٦٢٠، ومعجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب –الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م. [هـ م م] ٣/ ٢٣٦٧، والمعجم الاشتقاقي [همم – همهم] ٤/ ٢٣١٧.

"وثانيهما: أن تكون العنايةُ بتقديمه والاهتمامُ بشأنه لكونه في نفسه نُصْبَ عينِكَ، وأنَّ التفاتَ الخاطر إليه في التزايد"[(١)].

وقد أكثر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إيراد الاهتمام كغرضٍ من أغراض تقديم متعلقات الفعل عليه، وخص منها تقديم الجار والمجرور بمزيد اهتمام، وقد أحصت الدراسة من المواضع التي جَعَلَ فيها الاهتمامَ غرضًا لتقديم المجرور على عامله زهاء مائةٍ وخمسين موضعا، بعضها منفردٌ، وبعضها يكون فيها الاهتمامُ أحد غرضين للتقديم، أو حتى ثالثَ ثلاثة كما سيأتي بيانه في المبحثِ الثاني.

والاهتمام المستفاد من تقديم المجرور على عامله في تلك المواضع منه ما هو مُتَوَجِّهٌ إلى المجرور المقدَّم، ومنه ما هو مُتَوَجِّهٌ إلى العامل المؤخَّر، ومنه ما هو مُتَوَجِّهٌ إلى مفهومٍ من السِّياقِ، لا هو من العامل، ولا هو من المعمول.

وفيما يلي دراسة لبعض تلك المواضع التي جعل فيها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاهتمامَ غرضًا أوحدَ لتغيير الترتيب المألوف، بتقديم المعمول (الجار والمجرور)، وتأخير العامل فيه.

✿✿✿

✿ النموذج الأول:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[الأنعام].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قول الله في هذه الآية: ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ﴾: "... وتقديم المجرور على عامله للاهتمام بأمر العهد، وصرف ذهن السامع عنده،

---

(١) مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧م. (ص: ٢٣٧).

ليتقرر في ذهنه ما يَرِدُ بعده من الأمر بالوفاء، أي: إن كنتم ترون الوفاء بالعهد مُدْحَةً فعهد الله أولى بالوفاء، وأنتم قد خَتَرْتُمُوهُ[1] ..."[2].

فها هو ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعلل تقديم المجرور ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ على عامله ﴿أَوْفُواْ﴾ بالاهتمام بأمر ذلك العهد المأخوذ على المخاطبين؛ لتحصل عناية السامع به فتتوجه نفسه نحو الوفاء بهذا العهد البالغ من الأهمية ذِرْوتَها، الواصلِ في القداسة غايتَها من حيث إضافتُه إلى الله تعالى.

فمخالفة الترتيب هنا بتقدم المعمول وتأخير العامل لم تقع مصادفة ولا جزافًا، وإنما جاءت لغرض بلاغيٍّ لم يعرض لذكره إلا قلَّةٌ من المفسرين[3] وافقتْ كلمتُهم فيه كلمةَ ابنِ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه: الاهتمام والعناية بعهد الله، وجمهورُهم لم يعرِّج على بيان حكمة تقديم المجرور هنا على عامله أصلًا.

بيدَ أن الشيخ/ محمد رشيد رضا له رأي آخر في المسألة، وهو أن النكتة البلاغية هنا في تقديم معمول الفعل عليه هي الدلالة على الحصر، ولم يكتف بإبداء رأيه فحسب، بل عاب على من علَّل التقديم بمجرد العناية والاهتمام بأن الحامل لهم على هذا القول عجزُهم عن معرفة وجه الحصر فيه[4].

---

(١) جاء في مقاييس اللغة: "الْخَتْرُ، وَهُوَ الْغَدْرُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا خَتَرَ فَقَدْ قَعَدَ عَنِ الْوَفَاءِ". [ختر] ٢/ ٢٤٤.

(٢) التحرير والتنوير ١١/ ٧٣.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت بلا طبعة ولا تاريخ ٣/ ٢٠٠، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ. ٤/ ٢٩٩

(٤) ينظر: تفسير المنار= تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٠م (٨/ ١٧٠).

ولابد من وقفة تأمل لتحرير المسألة، وحسم النزاع فيها، وبيان الغرض الأوفق بالمقام، أهو الاهتمامُ والاعتناءُ، أم هو الحصرُ.

عهد الله المأمور بالوفاء به هو كل عهد فيه انتساب إلى الله بوجه من الوجوه، وإضافتُه إلى الله إما من إضافة المصدر إلى فاعله، أي: ما عهد الله به إليكم من الشرائع، وإما من إضافته إلى مفعوله، أي: ما عاهدتم أنتم اللهَ على التزامه والعمل به، وإما من الإضافة لأدنى ملابسة لتشمل العهود التي تنعقد بين الآدميين فرادى وجماعاتٍ، وإضافة هذا العهد خاصة إلى الله تعالى من حيثُ أمرُه بحفظه والوفاءِ به، أو لأنه يوثَّق عادة بالأَيْمان والإقسام بالله على الوفاء به[(١)].

ونصوص القرآن الكريم متضافرة على إيجاب الوفاء بهذه العهود على اختلاف أنواعها، ولكن لا يتسع المقام لسردِهَا، من ذلك قوله تعالى: ﴿...وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء]، وكأن الألف واللام فيه للاستغراق، فكل عهد صاحبُه عن الوفاءِ به مسؤول.

وآية الأنعام هنا واردةٌ في سياق ما يعرف بالوصايا العشر، وهي مفتتحة بقوله تعالى: ﴿۞قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ ... ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام]، والخطاب فيها عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ للمشركين الذين نزل فيهم القرآن، وهم مخاطبون ضمن الوصايا العشر بالأمرِ بالوفاء بعهد الله، وقد جاء التعبير به على طريقة التقديم الذي يلفت الانتباه إلى كون هذا العهد أولى من عهودٍ أخرى للصلح والموالاة عقدَها المشركون، وأوجبوا على أنفسهم الوفاء بها، وكانو يتمادحون على ذلك، ومن عهودهم: حلفُ الفضول وغيرُه، عقَدُوهَا من أجل نفي الظلم والجور عن ساكني مكة؛ وقد اعتدى المشركون على ضعفاء المؤمنين بمكة وظلموهم، وهذا نقض للعهد الذي التزموه، فجاء التقديم هنا منبها على وجوب الاهتمام والعناية بالوفاء بعهد الله الذي نقضوه، وأنه أولى بالوفاء من عهودِ صلحهم وموالاتهم[(٢)].

في حين أن الشيخ: رشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أن العهد نوعان: عهد واجب الوفاء، وهو كل ما

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٨ أ/ ١٦٩.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٨ أ/ ١٦٩.

شرع الله للناس، وكل ما التزمه الناس من شرائعه، وهو الذي يصح أن يسمى عهدَ الله، وعهدٌ لا يجب الوفاء به وهو كل عهد لا يرضاه الله كالنَّذر الحرام، ومعاهدات الحربيين وغيرهم على ما فيه ضررُ الأمة وهضمُ مصالحها، أو غيرُ ذلك من المعاصي، فتقديم المجرور ﴿وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾ على عامله ﴿ أَوۡفُواْ ﴾ أفاد حصر الأمر بالوفاء في العهد العام الذي يُرْضِي الله تعالى، وأما ما لا يرضيه من العهود فالوفاء بها خارج عن حدِّ الأمر وحيِّزِ الإيجاب[1].

والذي أراه أنه لا مانع من إفادة تقديم المجرور كلا الغرضين؛ إذلا منافاة بينهما، إلا أن ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناظرٌ في كلامه إلى السياق القريب، والقرائن المؤيدة، ورشيد رضا رَحِمَهُ ٱللَّهُ ناظرٌ في كلامه إلى نوع من العهود لم يتناوله كلام ابن عاشور، ولا أشار إليه غيره، فالجهة منفكة، ولا تنافي بين القولين.

فالتقديم يفيد الاهتمام والتنبيه على العناية بالوفاء بعهد الله أكثر من سائر العهود من جهة، ومن جهة أخرى يحصر الوفاء المأمور به في العهود النافعة للأمة دون غيرها مما شأنه الإضرار وهضم المصالح. **والله أعلم.**

❁ النموذج الثاني:

قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ [التوبة].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شأن تقديم المجرور على عامله- وهو يفسر هذه الآية: "... وتقديم المتعلَّق على عامليْهِ المتنازِعَيْنِهِ في قوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ للاهتمام بالمؤمنين في توجُّه صِفَتَيْ رَأْفَتِهِ ورَحْمَتِهِ بهم، وأما رحمتُه العامَّة الثابتَةُ بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، فهي رحمةٌ مَشُوبةٌ بشدَّةٍ على غيرِ المؤمنينَ، فهو بالنسبة لغيرِ المؤمنينَ رائفٌ وراحمٌ، ولا يقال: بهم

(١) ينظر: تفسير المنار ٨/ ١٧٠.

رؤُوفٌ رَحِيمٌ"[١].

وُصِف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بصفتين هنا من صفات الله تعالى، لم يجمعهما لأحد من أنبيائه وأوليائه، وإنما جمعهما له تكريما وتشريفا، وهما: الرأفة والرحمة، وقد سمَّاه الله تعالى باسمين مشتقين منهما، وهما: ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢].

فالرؤوف هو: المبالِغ في الشفقة. قال أبو عبيدة: ﴿ رَءُوفٌ ﴾ فَعُولٌ من الرأفة، وهي أَرَقُّ مِنَ الرَّحمة[٣]، والرَّحيمُ: فَعِيلٌ من الرَّحْمَةِ، وهي: رِقَّةُ القَلْبِ.

والاسمان الكريمان ﴿ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ جاءا على وزنين من أوزان المبالغة، وهي أوزان تقتضي زيادةً في المعنى، واتساعًا في المدلول عن اسم الفاعل (رائفٌ وراحِمٌ)، الذي يدل على وقوع الفعل ولو مرة واحدة، من غير ملاحظة التكرار والمبالغة والكثرة التي تفيدها صيغ المبالغة، فضلا عمَّا دلَّت عليه صيغتا المبالغة من تمحُّض الرأفة والرحمة وخلوصِهما من شوائب الشدة التي قد يفيدها اسم الفاعل.

وبناء على ذلك قسَّم ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ رأفة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ورحمتَه قسمين:

أحدهما: رأفةٌ ورحمةٌ عامّة لجميع الناس، وهما المشوبتان المختلطتان بالشدة.

والآخر: رأفةٌ ورحمةٌ خاصَّة بمن ءامن به واتبع هداه، وهي رأفةٌ ورحمةٌ واسعةٌ خالصةٌ من كل شوائب الشدة والغلظة التي أُمِرَ بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تجاه الكفار والمنافقين في قوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٧٣.

(٢) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ (٢/ ٣١٣)، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ =١٩٦٤م. (٨/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٣١١.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ... ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة]، مبرَّأةٌ من الشدة على الكفار التي نعتَ الله جَلَّوَعَلَا بها رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ... ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وتقديم الجار والمجرور على عامله الذي هو المشتقان ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ المتوجهان إليه مفيدٌ اهتمامًا بنوع الرأفة والرحمة، وبمن توجَّهتْ إليه هذه العوامل، وهو مع ذا تقديمٌ دافعٌ توهُّمَ شمول الرأفة والرحمة الخاصة غيرَ المؤمنين؛ إذ لو أُخِّرَ الجار والمجرور وقُدِّم العامل فقيل: (رؤوفٌ رحيمٌ بالمؤمنين) لم يمنع شمول الرحمة غيرَهم، وقصارى الأمر أن يقال إن شمولها للمؤمنين مستفاد من النصِّ، ولغيرهم محتمل من تأخير المتعلَّق فلا دلالة على الخصوصية.

وعند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن التعبير في الآية بصيغتي المبالغة: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ نصٌّ في الرحمة الخاصة، وحتمية توجهها إلى المؤمنين خاصة، وللاهتمام بالمؤمنين في توجه الرأفة والرحمة الخاصة إليهم عُدِل عن الترتيب المألوف الذي يتقدم فيه العامل، إلى الترتيب الموصوف الذي تقدم فيه المعمول.

ولعل هذا الذي ذهب إليه ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان مرادَ أبي حيان الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "ولما كانت الرأفةُ والرحمةُ خاصةً جاء متعلَّقُها خاصًّا وهو قوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾"[1].

وقد افترض الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سؤالا عن تقديم المجرور على عامله هنا وأجاب عنه بما ملخّصه: أن التقديم للحصر، فرحمة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ محصورة في المؤمنين، وأما غيرهم فلا رحمة منه بهم، وجعل ذلك الحصر هو علة التقديم، مستندا في ذلك إلى سياق السورة، فقد جاء فيها الحث على الإغلاظ للكفار والمنافقين، وأما الرحمة فمحصورة في المؤمنين[2].

---

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت- الطبعة: ١٤٢٠ هـ.(٥/ ٥٣٢).

(٢) مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

وهذا الذي ذهب إليه الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعارض مع أصح القَوْلَيْنِ في تفسير قَوْله تَعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء]، وأنه على عُمُومه - وفق ما قرَّره ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فعُمُوم العالمين حصل لَهُم النَّفْع برسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأما أتْباعه فنالوا بِهِ كَرامَة الدُّنْيا والآخِرَة، وأما أعداؤه المحاربون له: فتعجيل موتهم خيرٌ لهم؛ فإن طولَ أعمارهم في الكفر تغليظٌ للعذاب عليهم في الآخرة، وأما المعاهِدون له: فأمِنوا في عهده وذمته، وأما المنافقون فبإظهارهم الإيمان حقنوا دماءهم وأموالهم، وربِحوا جريان أحكام المسلمين عليهم، وأما الأمم النائية عنه فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض، فأصاب كلَّ العالمين النفعُ برسالته[1]، وما النفع إلا فرد من أفراد الرحمة.

فبان بذلك أن تقديم المجرور حصل للاهتمام بالمؤمنين المعنيِّين بهذا النوع من الرحمة النبوية، تناغُمًا مع صيغ المبالغة ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ التي تقتضي مزيدا من الرحمة والرّقّة الخالصة الواسعة التي لا يكون مثلها في الكثرة والصفاء صادرا عنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لغير المؤمنين، وإن وُجد أصل الرقة والشفقة في قلبه لكل العالمين، فقد كان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصا على هداية كل نفس واستنقاذها من الضلال والضياع، فخصَّ المرحومين المرؤوفَ بهم بالتقديم هنا لمناسبة خصوصية الرحمة والرأفة المتوجِّهَة إليهم. والله أعلم.

(١) التفسير القيِّم لأبي بكر محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان- دار ومكتبة الهلال – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ.(ص: ٣٨٢).

❁ ثانيا: تقديم المجرور على عامله لغرض الحصر وما في معناه.

الحصر في اللغة: الْحَبْسُ، وَالْمَنْعُ، والتضييقُ، والحَصَرُ: العِيُّ، يقال: حَصِرَ الرَجُلُ حَصَرا: عَيِيَ في منطقه؛ ولم يقدر على الكلام، كأن الكلام حُبِسَ عنهُ، ومُنِعَ منه، ومنه الحصُور، وهو الممنوع أو الممتنع عن إتيان النساء، قال تعالى – في وصف يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ –: ﴿ ... وَسَيِّدًا وَحَصُورًا... ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران].

ومن الحصْرِ بمعنى التضييق قوله تعالى: ﴿... وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍۚ...﴿٥﴾﴾ [التوبة]، أي: ضيقوا عليهم. والحصَرُ :ضيق الصدر قال تعالى: ﴿...حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ...﴿٩٠﴾﴾ [النساء]، أي: ضاقت صدورهم بقتالكم[(١)].

والقصرُ في اللغة: الحبسُ، وهو أحد أصلين دلَّ عليهما هذا التركيبُ اللغويُّ كما أفادته عبارة ابنِ فارسٍ[(٢)]، ومنه قوله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن]، أي: مَحْبُوسَاتٌ فِي خِيَامٍ مِنَ الدُّرِّ مُخَدَّرات عَلَى أَزواجهن فِي الْجَنَّاتِ[(٣)]، ويقال: قصرتُ نفسي على الشّيء: إذا حبسْتَها عليه وألزمتَها إياه[(٤)].

والقصر في الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء وحصرُه فيه[(٥)]، أو هو: تخصيص أمر بآخر

---

(١) ينظر: مادة [حصر] في مقاييس اللغة ٢/ ٧٢، ولسان العرب ٤/ ١٩٣.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة [حصر] ٥/ ٩٦.

(٣) ينظر: تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب– دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.[ق ص ر] ٨/ ٢٧٩.

(٤) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى، الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (ت: ١٢٠٥ هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين– دار الهداية دون طبعة أو تاريخ. (١٣/ ٤٢٢). [حصر] ٥/ ٩٦.

(٥) ينظر: التعريفات الفقهية محمد عميم الإحسان البركتي – دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م. (ص: ١٧٥).

بطريق مخصوص، ويقال أيضا: إثبات الحكم للمذكور ونفيُه عمَّا عداه[(١)].

والقصر: يأتي في اللّغة بمعنى التّخصيص، يقال: قَصَرَ الشَّيْءَ على كذا، إذا خصّصه به، ولم يجاوز به إلى غيره، ويُقالُ: قَصَر غلَّةَ بستانه على عياله، إذا جعلها خاصّةً لهم، وقَصَر الشيءَ على نفسه: إذا خصَّ نفسَه به فلم يجعل لغيره منه شيئًا[(٢)].

والتخصيص يسميه أرباب البيان: الاختصاص، ولا يحسن إلا أن يكون تخصيص الشيء بمعنى ظاهر[(٣)]، والقصر والاختصاص عند علماء المعاني بمعنى واحد[(٤)]، وقد جمع الجرجاني بينهما في تبويبٍ واحدٍ، مما يعني أنهما عنده بمعنى[(٥)]، وذلك يفيد أن المصطلحاتِ الأربعةَ عند أرباب البيان متفقةُ المدلول -غالبًا-، فقصرُ شيءٍ على شيءٍ يعني حصرَه فيه، واختصاصَه وتخصيصَه به دون غيره، واختلافها إنما هو في الطرق المؤدية إلى كل منها، والأدوات المستعملة في ذلك، مما هو مبسوط في كتب البلاغة، ولا تستوعبه هذه التوطئة.

والذي يعنينا هنا أن القصر ومرادفاتِه الثلاثة يقع بين المبتدإ وخبرِه، والفعلِ وفاعلِهِ، والفاعلِ ومفعولِهِ، وبين الفعلِ ومتعلّقاتِهِ سوى بعضها، ومما يقع القصر والحصر والاختصاص فيه: الجارُّ والمجرورُ، وذلك بتقديمه على عامله، وهو بيتُ القصيد، والمعنِيّ بهذه الدراسة.

---

(١) ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م. (١/ ١٣٦).

(٢) ينظر: البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم- دمشق- الدار الشامية، بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦م. (١/ ٥٢٣).

(٣) ينظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لأبي بكر محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان، دون طبعة أو تاريخ. (ص: ١٥٣).

(٤) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢ هـ) لمحمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي- المكتبة العصرية - بيروت- لبنان- الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م. (٢/ ١٩٨).

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز ١/ ٣٢٨.

وقد أفاض العلماء في ذكر أنواع القصر باعتباراته المختلفة، وأبانوا أنه باعتبار الحقيقة والإضافة نوعان: حقيقي وإضافي، والحقيقي منه تحقيقيٌّ وادعائي، والإضافيُّ باعتبار المخاطب ثلاثة أنواع: قصر إفرادٍ، وقصر قلبٍ، وقصر تعيينٍ.

والقصر بنوعيه باعتبار طرفيْه قسمان: قصر موصوف على صفة، وقصر صفة على موصوف، وله طرق أبانوا عنها في تآليفهم من أهمها أربعة: أحدها: (إنما)، وثانيها: النفي والاستثناء، وثالثها: العطف بـ: (لا)، أو(لكن)، أو (بل)، ورابعها: تقديم ما حقه التأخير، ومن ذلك متعلقات الأفعال، والتي منها: تقديم الجار والمجرور على عامله[1].

وقد كثر ورود القصر ومرادفاته فيما ذكره ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أغراض تقديم المجرور على عامله، وقد أحصت الدراسة زهاء (٨٠) موضعًا جعل ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها القصر أو أحد مرادفاته غرضا لتقديم المجرور على عامله، وغالبا ما ينص على نوع القصر أو الحصر أو الاختصاص، باعتبار طرفيه حينًا، وباعتبار الحقيقة والإضافة أحيانًا، وأحيانا تراه ينص على أن تقديمِ المجرورِ يفيدُ القصر تأكيدًا، وإن كان الأصل أن يفيده تأسيسًا.

وقد تنوعت عبارات ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك، ففي نحو (٣٤) موضعا جعل القصر حقيقيًّا، إما نصًّا أو إلماحًا وإشارةً، وفي (١٧) موضعًا جعله إضافيا تصريحًا به، أو بأحد أنواعه (قصر إفرادٍ – أوقلبٍ- أوتعيينٍ)، وفي (٢٣) موضعا صرّح بأن غرض تقديم المجرور على عامله فيها هو الاختصاص، وفي (٤) مواضع فقط عبَّر بمصطلح التخصيص.

وسنعرض فيما يأتي لنماذج بالدراسة والبيان، لنجلِّيَ موقفَ ابنِ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إفادة تقديم المجرور على عامله الحصرَ أو شيئا من مرادفاته.

۞ ۞ ۞

(١) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦ هـ (٣/ ٤٤٨-٤٥١).

❁ **فمن القصر الحقيقي التحقيقي:** ما جاء في التحرير والتنوير عند تفسير قول الله تعالى: ﴿... وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾[البقرة]، قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وتقديم المجرور لإفادة الحصر: أي المصير إليك لا إلى غيرك، وهو قصر حقيقي، قصدوا به لازم فائدته، وهو أنهم عالمون بأنهم صائرون إليه، ولا يصيرون إلى غيره ممن يعبدهم أهل الضلال"[(١)].

فقد عرض ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عادته لبيان حكمة تقديم المجرور على عامله، مبينًا أن مفاد ذلك هو القصرُ والحصرُ، وطرفا القصر في هذا الأسلوب هما: المقصور الذي هو ﴿ٱلۡمَصِيرُ﴾، ومعناه المرجع والمآل، والمقصور عليه: الذي هو الرب سبحانه المذكور في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، إلا أن القصر هنا على ضمير الخطاب العائد إليه في: ﴿وَإِلَيۡكَ﴾، وهو من قصر الصفة على الموصوف.

وأما من حيث الحقيقة والإضافة، فإن ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ صرَّح بأنه قصرٌ حقيقيٌّ. ويُعَرِّفُهُ أربابُ البيانِ بأنه: "تخصيص الشيء بالشيء بحسب الحقيقة، وفي نفس الأمر بأن لا يتجاوزه إلى غيره أصلا"[(٢)].

والقصر الحقيقي يتضمن حكمين: أحدهما: إثباتُ الحكم للمذكور. والآخر: نفْيُه عمَّا عداه، وكلاهما حقيقة[(٣)]، وكلام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تضمَّن التصريح بشيئين:

---

(١) التحرير والتنوير ٣/ ١٣٤.

(٢) كتاب التعريفات للشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي الزَّين (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م. (ص: ١٧٦).

(٣) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي أحمد بن علي بن عبد الكافي، (ت: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣م.(١/ ٣٩٣).

الأول: أن القصر حقيقيٌّ، وذلك منطبق تمام الانطباق على القصر الحقيقي بمفهومه السابق، فإن رجوع المخلوقين حقيقي روحًا وجسدًا، والمرجوع إليه على الحقيقة في الآخرة ليس إلا الله، والنصوص الدالةُ على هذا المصير والرجوع في التنزيل بالغةٌ حدَّ الكثرة.

الثاني: أن المراد من إخبار المؤمنين بأن رجوعهم إنما هو إلى الله وحده لا إلى غيره ليس مقصودا لذاته، وليس المراد فائدتُه، وإنما المراد لازم تلك الفائدة؛ لأن المخبِر إنما يقصد بخبره أحد أمرين:

إمّا إفادة المخاطب فائدة يجهلها، فيكون الغرض من الإخبار حينئذٍ مجرد حصول الفائدة.

وإمَّا أن يكون المخاطب عالما بمضمون الخبر، والحكمُ معلوم له قبل إخباره به، ومثل هذا لا يمكن أن يقصد المتكلم إخباره بما يعلم، فإن ذلك من تحصيل الحاصل، ولكن يقصد المتكلم من إخباره آن ذاك شيئا لازمًا لتلك الفائدة لا يمكن انفكاكُه عنها.

والمخاطب هنا في قول المؤمنين: ﴿غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ هو الله تعالى، علام الغيوب الذي لا تخفى عليه خافية، وأمر رجوع الخلائق إليه لا يعزب عن علمه بداهةً، والمخبِر بهذا الرجوع –وهم المؤمنون– أجلُّ من أن يعتقدوا أنهم بإخبارهم هذا يفيدون الله تعالى فائدة يجهلُها، فلزم أن يكون لهم من هذا الإخبار معنى آخر هو من لوازم هذا الخبر، وهو: أنهم عالمون بأنهم صائرون إليه دون غيره من معبودات أهل الضلال والشرك.

فتقديم المجرور هنا أفاد قصر الرجوع على الله تعالى وحده على سبيل الحقيقة الخالية عن ضروب المجاز، وأن الرجوع إليه حكمٌ ثابتٌ له منفيٌّ عمَّن سواه، وقد دُلَّ على ذلك بتقديم ما حقه التأخير من المجرور على عامله، وهو المبتدأالمؤخر﴿ ٱلۡمَصِيرُ﴾. والله أعلم

۞ ۞ ۞

۞ ومن القصر الحقيقي الادِّعائيّ: قوله الله تعالى: ﴿... ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾[الزمر].

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير هذا الجزء من الآية الكريمة: "وتقديمُ المجرورِ لإفادَةِ الحصرِ الادِّعَائيّ، أي: الملْكُ لله لا لغيرِه، وأمّا مُلكُ الملُوكِ فهو لنقْصِهِ وتعَرُّضِهِ للزَّوالِ بمنزلَةِ العَدَمِ "[(١)].

القصرُ الادعائيُّ هو: ما ينزَّلُ فيه ما عدا المقصورِ عليهِ منزلةَ المعدوم؛ قصداً للمبالغة والادعاء، فمضمون القصر الادعائيّ غيرُ مطابقٍ للواقع، إلاَّ أنّه جاء على سبيل الادعاء والمبالغةِ مجازاً[(٢)].

وتقديمُ المجرورِ هنا – كما هو واضح من كلام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ – أفادَ حصرَ الملكِ في الله تعالى، وهو من حصر الصفة في الموصوف، وهو حصرٌ لا يطابق الواقع، فإن كثيرا من ملوك الأرض لهم مُلكٌ، ولهم فيه تصرف، وغير جائز أن نثبت بهذا الحصر مُلكًا لله تعالى وننفيَه عمَّن عداه حتى يكون حصرا حقيقيا تحقيقيا، كما في إثباتنا الألوهية الحقَّةَ لله سبحانه، ونفْيِنَا إيّاها عمَّن عداه حين نشهد أن لا إله إلا الله.

غير أن مُلكَ الله تعالى هو الملكُ الكاملُ الذي لا يعتريهِ عدمٌ أو زوالٌ، أو نقصٌ واختلالٌ، فهو الذي يستأهِلُ أن يُسَمَّى مُلْكًا، وأما مُلْكُ غيره فإن كان عادلًا فهو استرعاءٌ من الله عَزَّوَجَلَّ امتنانًا، وإن كان ظالمًا فهو تسليطٌ منه عَزَّوَجَلَّ على الخلق ابتلاءً[(٣)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٣/ ٣٣٦ بتصرف يسير.

(٢) ينظر: البلاغة العربية لعبد الرحمن حبنَّكة، ١/ ٥٤٥، والبلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع للدكتور/ حسن إسماعيل حسن عبد الرازق الجناجيّ، (ت: ١٤٢٩ هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث – القاهرة – مصر – سنة الطبع: ٢٠٠٦ م. (ص: ١٦٤).

(٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب = حاشية الطيبي على الكشاف، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، تحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م (١٥/ ٤٤٥).

ومن نافلة القول أن تقديم المجرور في نظير هذه الآية حقيقيٌّ تحقيقيٌّ لا ادّعائيٌّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ ... وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ... ﴿٧٣﴾ ﴾[الأنعام]، والفرق بينهما أن الملك في هذه الأخيرة مخصوص بيوم القيامة، والآية مخبِرةٌ بانفراده تعالى بالملك حين لا يمكن أن يُدَّعَى فيه مُلكٌ[1]، فإذا كان لغيره ملكٌ مّا في الدنيا بمقتضى سنَنِهِ المقدَّرَة، وشريعتِهِ المقرَّرَة، فليس لأحدٍ يومَ القيامَةِ على الإطلاق ملكٌ، فلا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئًا من خيرٍ أو شرٍّ، أو نفعٍ أو ضُرٍّ، قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾[غافر]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾[الفرقان][2]. والله أعلم.

✿ ✿ ✿

✿ **ومن القصر الإضافي:** قول الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران]: "وَتَقْدِيمُ الْمَجْرُورِ مُفِيدٌ لِلْحَصْرِ الْإِضَافِيِّ، أَيْ: بِرَحْمَةٍ مِنَ الله لَا بِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ، وَهَذَا الْقَصْرُ مُفِيدٌ التَّعْرِيضَ بِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ كَانَتْ مُسْتَوْجِبَةً الْغِلَظَ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ الله أَلَانَ خُلُقَ رَسُولِهِ رَحْمَةً بِهِمْ، لِحِكْمَةٍ عَلِمَهَا الله فِي سِيَاسَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ"[3].

أجمع النّحاة على أن (ما) في قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ صلةٌ لا تمنع الباءَ من عملها فيما عَمِلَتْ فيه الجرَّ، والمعنى: فبرحمةٍ من الله لنْتَ لهم، إلا أنَّ (ما) قد أحدثَتْ بدخُولها توكيد المعنى[4]، فـ«ما» مزيدة للتوكيد، وللدلالة على أنّ لِينَهُ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم ما كان إلا برحمة من الله تعالى.

---

(١) ينظر: البحر المحيط ٤/ ٥٥٧.

(٢) ينظر: تفسير المنار ٧/ ٤٤٢.

(٣) التحرير والتنوير ٤/ ١٤٤.

(٤) معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م. (١/ ٤٨٢).

والآية نازلة في سياق أحداث يوم أُحُدٍ وما حصل فيه من مخالفة الرماة أوامرَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما ترتَّب على ذلك من الكَرَّة التي أحدثَتْ في صفوف المسلمين ما أحدَثَتْ، وكانوا للمخالفة مستحقين للّوم، إلا أن الله تعالى ألانَ قلب نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فرفَقَ بهم ولم يعنِّفهم.

فالرحمة من الله هنا: رَبْطُهُ على جأش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتوفِيقُهُ للرفق والتلطُّف بهم حتى بعد ما خالفوه، وعصوا أمره، وانهزموا وتركوه[(١)].

وتقديم المجرور ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ ﴾ على عامله ﴿ لِنتَ ﴾ دالٌّ على أن رِفقَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم ما حصل إلا بسبب الرحمة العظيمة التي أودعها الله تعالى قلبَه، وهو قصر إضافي، أريد منه تعظيم قدر تلك الرحمة المودعة فيه.

وهو هنا من قصر الموصوف على الصفة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا السياق مقصورٌ في لِينِهِ بأصحابه على صفة الرحمة، بالإضافة إلى ما عداها من صفاته، كرعاية المصلحة، وحسن سياسة الأمة مثلا.

والقصر الإضافيُّ عندعلماء البيان: « تخصيص شيء بشيء بالإضافة إلى شيء آخر بأن لا يتجاوزه إلى ذلك الشيء، وإن أمكن أن يتجاوزه إلى شيء آخر في الجملة[(٢)].

فلو أُخِّرَ المجرورُ إلى موطنه المألوف كمتعلَّقٍ من متعلَّقَاتِ الفعل فقيل: (فَلِنْتَ لهم برحمةٍ من الله)، لم يكن التركيب مفيدًا القصرَ، ولا دالًّا على عِظَمِ الرحمة، ولا يمتنع حينئذ أن يكون الرفقُ وتركُ اللومِ للمخالفين حاصلَيْنِ بعدَّة عواملَ، لا تمثل الرحمةُ إلا فردًا من أفرادها.

وقد مرَّ في التوطئة أن القصر الإضافي باعتبار المخاطب ثلاثة أنواع: قصرُ إفرادٍ، وقصرُ قلبٍ، وقصرُ تعيينٍ، ويقرب أن يكون القصر هنا في هذا الموضعِ قصرَ إفرادٍ، وهو الذي يعتقد المخاطب الشركة في الحكم فيه بين المقصور عليه وبين غيره، فنقطع بالقصر معنى الاشتراك، ففي قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ ردٌّ على من يعتقد أن لينَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته كان بالرحمة والجود مثلا، أو بالرحمة ورعاية المصلحة.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٧ هـ..

(٢) ينظر: التعريفات للجرجاني (ص: ١٨٣).

ومن الاختصاص: قوله الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢٠٦﴾[الأعراف]، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند بيان معنى هذه الآية: " وتقديم المعمول من قوله: ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ للدلالة على الاختصاص، أي: ولا يسجدون لغيره، وهذا أيضا تعريضٌ بالمشركينَ الَّذين يسجدون لغيره، والمضارعُ يفيدُ الاستمرارَ أيضًا"[(١)].

ذكر المفسرون في سبب هذه الآية الكريمة أن كفار مكة لما قالوا: ﴿... أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا ... ۝٦٠﴾ [الفرقان]؟ نزلت هذه الآية تخبر أن الملائكة وهم أكبر شأنا، لا يتكبرون عن عبادة الله[(٢)].

وقد أخبر الله تعالى عن الملائكة في هذه الآية بأخبار ثلاثة، أولها: نفي الاستكبار عن عبادته، وذلك هو الموجب للطاعات، كما أن الاستكبار هو الموجب للعصيان. ثانيها: إثبات تسبيحهم لله تعالى وتنزيههم إيَّاه عن جميع ما لا يليق بذاته المقدّسة. ثالثها: السجود له[(٣)]، وهو إما كنايةٌ عن التذلل والخضوع له بالعبادة، أو السجودُ هنا بمعنى الصلاة، فيكون من إطلاق الجزء وإرادة الكل.

والجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ﴾ معمولٌ للفعل المضارع ﴿يَسْجُدُونَ﴾، وحق العامل أن يتقدم على معموله، إلا أن المعمول قُدِّمَ إيذانًا بالاختصاص والحصر، أي: يخصونه بالسجود دون غيره فلا يسجدون إلا لله، لأنه لا يصح السجود إلا له.

وهذا الحصر الناشئ عن تقديم المجرور هنا فيه تعريضٌ بمن يسجد لغير الله؛ فإن الملائكة مع شرفهم وقربهم من الله تعالى بالمكانة يخصونه بالسجود، فمن دونهم في المكانة أولى بذلك؛ تشبُّها بهم وطلبا لتحصيل رتبتهم، وهذا الحصر فيه فوق ذلك تحريض للمؤمنين على ترك الاستكبار، ودوام التسبيح والسجود، كما هو حال الملائكة في عبادتهم[(٤)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٩/ ٢٤٤.

(٢) ينظر: زاد المسير زاد المسير ٢/ ١٨٥.

(٣) ينظر: تفسير البحر المحيط ٥/ ٢٦٤.

(٤) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الأولى: ١٤١٨ هـ. (٣/ ٤٨)، والتسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جُزَيِّ الكلْبِيّ (ت: ٧٤١هـ) تحقيق د/ عبد الله الخالدي – دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى: ١٤١٦ هـ. (١/ ٣١٩).

وقد علَّل أبو حيَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديمَ المجرور في هذه الآية بالاختصاص، واستظهر أن يكون التقديم لأجل أن يقع الفعل في رأس الآية فتتشاكل فواصل السورة، وتتفق رؤوس الآي فيها[(١)].

وأرى أنه لا مانع من إفاد تقديم المعمول هنا الغرضين معا، وأوْلاهما ما له اتصال بالمعنى وهو الحصر والاختصاص، ثم ما له اتصال بالتناسق وجرس الأصوات، وفي كلٍّ إشارة إلى الإعجاز، فضلا عن أن الحصر والاختصاص وارد في تعليل جماعة من المفسرين لتقديم المعمول في هذا الموطن، وافقت وجهتُهم فيه وجهةَ ابنِ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، منهم الرازي، والبيضاوي، وابن جزي الكلبي رحمهم الله أجمعين[(٢)].

✿ ✿ ✿

❁ ثالثًا: تقديمُ المجرورِ على عاملِهِ لغرضِ (رعايةِ الفاصلة).

الفاصلة لغةً: يقول ابن فارس: الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشيء من الشيء وإبانته عنه[(٣)]. وتطلق الفاصلة على الخَرزة الَّتِي تفصِل بَيْنَ الخَرزتين فِي النِّظام[(٤)].

والفاصلة في الاصطلاح: كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع[(٥)].

ولمعرفة الفواصل طريقان عزاهما الزركشي لأبي إسحاق الجعبري شارح الشاطبية:

أحدهما توقيفي: فكل ما ثبت أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه وقف عليه دائما فهو فاصلة، وما وصله دائما فليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى لم يُقطع بكونه فاصلة؛ لاحتمال أن يكون الوقف لتعريف الفاصلة، أو لتعريف الوقف التام، أو للاستراحة، ولاحتمال الوصل أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلَها لتقدم تعريفها.

---

(١) ينظر: السابق ٥/ ٢٦٤.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب ١٥/ ٤٤٦ ، و أنوار التنزيل٣/ ٤٨ ، والتسهيل لعلوم التنزيل١/ ٣١٩.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة [فصل] ٤/ ٥٠٥.

(٤) ينظر: لسان العرب [فصل] ١١/ ٥٢١.

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٥٣.

والآخر قياسيٌّ: وهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسِبٍ، ولا محذور في ذلك لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل[(١)].

والفاصلة عادة ما تأتي مؤتلفة مع ما يدل عليه الكلام، متعلقة بمعنى الآية كلها تعلُّقا تاما، بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم، فهي تؤدي في مكانها جزءا من معنى الآية، ينقص ويختل بنقصانه، لكن منه ما يظهر ومنه ما يستخرج بالتأمل للَّبيب[(٢)].

وقد نَسَبَ الزركشيُّ إلى الزمخشريِّ قولَه: إن المحافظة على الفواصل لا تحسن إلا مع بقاء المعاني على سدادها بحسب ما يقتضيه حسن النظم والتئامُه- كما لا يحسن تخير اللفظ المونق في السمع، السلس على اللسان إلا مع مجيئه منقاداً للمعاني الصحيحة المنتظمة، وأما إهمال المعاني والاهتمام بتحسين اللفظ وحده غيرَ منظور فيه إلى مؤدَّاه فليس من البلاغة في فتيل أو نقير[(٣)].

وهل رعاية الفاصلة من البديع أم المعاني؟ سؤال افترضه الدُّسوقي مجيبًا عنه في إحدى فَنْقَلَاتِهِ في حاشِيَتِهِ على مختصر المعاني للسَّعد التَّفتازاني، قال: "فإن قلتَ: إن رعاية الفواصل من البديع قلتُ: قد سبق بيان إمكان انخراطِه في سلك المعاني من جهة أن المناسبةَ للفواصل بعد الإتيان بها رعايةُ كونها جميعًا على نمط واحدٍ أولها كآخرها"[(٤)].

وقد بدا جليًّا اعتماد ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ على رعاية الفاصلة في تعليل تقديم المجرور على عامله، حيث بلغت المواضع التي اعتمدَ فيها رعايةَ الفاصلةِ سببًا وعلَّةً في تقديم المجرور على عامله بضعًا وستين موضعًا، اكتفى في بعضها بعلة رعاية الفواصل، وفي بعضها أوردها قرينَ عللٍ أخرى اختلفتْ باختلاف المواضع، وتنوُّع المعاني واتساعها.

---

(١) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٩٨، والإتقان ٣/ ٣٣٣.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٧٨-٧٩.

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٧٢.

(٤) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للسعد التفتازاني ٢/ ٢١١.

والآن حين إيراد نماذج من تعليل ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديم المجرور على عامله برعاية الفاصلة وحدها من غير مشاركة عللٍ أخرى، نستجلي من خلالها مرادَه برعاية الفاصلة في تعليل ذلك النوع من التقديم، وأما ما كانت رعاية الفواصل فيه إحدى علَّتين أو إحدى عللٍ ثلاث، فسأرجئ دراسة نماذج منها للمبحث الثاني بمشيئة الله تعالى.

✿ ✿ ✿

✿ **من ذلك:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٤﴾[الأنعام]: "وأصل الإعراض صرف الوجه عن النظر في الشيء، وهو هنا مجازٌ في إباء المعرفة، فيشمل المعنى الحقيقي بالنسبة إلى الآيات المبصَرَات كانشقاق القمر، ويشمل ترك الاستماع للقرآن، ويشمل المكابرة عن الاعتراف بإعجازه وكونه حقا بالنسبة للذين يستمعون القرآن ويكابرونه، كما يجيء في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ ۝٢٥﴾[الأنعام]: وتقديم المجرور للرعاية على الفاصلة"[(١)].

✿ **ومن ذلك:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩﴾[القصص]: "ومعنى ذلك: ظنوا أن لا بعث ولا رجوع؛ لأنهم كفروا بالمرجوع إليه. فذكر إلينا لحكاية الواقع وليس بقيد، فلا يتوهم أنهم أنكروا البعث ولم ينكروا وجود الله مثل المشركين. وتقديم إلينا على عامله لأجل الفاصلة"[(٢)].

✿ **ومن ذلك:** قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠﴾ [السجدة]: "... وتقديم المجرور على ﴿كَٰفِرُونَ﴾ للرعاية على الفاصلة، والإتيانُ بالجملة الاسمية لإفادة الدوام على كفرهم والثَّبات عليه"[(٣)].

(١) التحرير والتنوير ٧/ ١٣٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٠/ ١٢٤.

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ٢١٩.

هذه بعض المواضع التي علَّل فيها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديم المجرور على عامله برعاية الفاصلة، والمقصود هنا أن يقدَّم المجرورُ المستحق للتأخير، ويؤخَّر العامل المستحق للتقديم ليقع العامل المختوم بحرف مشاكل للحرف الأخير في الفواصل السابقة واللاحقة في نهاية الآية، فيحصل بذلك تآخي الفواصل واتفاقها في الحرف الذي بنيتْ عليه أو فيه وفي الذي قبله، وذلك أوقع في النفس، وآخذ للُّبِّ، وأدعى إلى الإقبال، وأدلُّ على حسن التأليف.

وقد عدّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ رعاية الفاصلة من مقتضيات الفصاحة، ولعله يعني الفصاحة اللفظية، وهذا مصرح به في قوله: "وتقديم المجرور في قوله: ﴿ ... وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ ﴾[الأنفال] إما للرعاية على الفاصلة، فهو من مقتضيات الفصاحة مع ما فيه من الاهتمام باسم الله..."[1].

والفصاحةُ عند أرباب البيان: مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وقطعًا لا تتم هذه المطابقة إلا بتوافق الألفاظ مع المعاني المرادة.

إذًا فرعاية اللفظ – ومنه الفاصلة– جزءٌ من المعنى، وليست رعاية الفاصلة ملحظًا شكليًّا من الزخرف البديعيّ؛ فغير جائز في البيان العالي التعلق بملحظ شكليٍّ في اللفظ لا يقتضيه المعنى، فتقديم المعمول على عامله يجب أن يكون لمقتضى معنويٍّ بلاغيٍّ، يقويه الأداء اللفظيّ، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل[2].

على أنه ورد في كلام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض مواطن تقديم المجرور على عامله تصريحٌ بأن رعاية الفاصلة معدود عنده من البديع لا من المعاني[3].

---

(١) التحرير والتنوير ٩/ ٢٥٩.

(٢) ينظر: التفسير البياني للقرآن الكريم التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة بـ: بنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف – القاهرة– الطبعة: السابعة، بلا تاريخ. ١/ ٣٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢١/ ٩.

وإذا كان البديع مرادا به عندهم: المزايا التي تزيد الكلام حسنًا وطلاوة، وتسكوه بهاءً ورونقًا، بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظا ومعنى[(١)]، فإن للفاصلة دورًا لا يُجهل في تتميم بناء الآية شكلا ومضمونًا، ومبنًى ومعنى، لأن التصرف في الكلام تقديما وتأخيرا، وحذفًا وذكرًا، ووصلًا وفصلًا ونحو ذلك لا ينبني على الأمور الشكلية البحتة، بل المعنى في كل ذلك أساسٌ معتبر.

وقد عقد الزركشيُّ فصلا في البرهان بعنوان: «إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل» بَيَّنَ فيه تأثير الفاصلة بشكل واضح في اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرا عظيما اقتضى أحيانا الخروج عن نظم الكلام لأجل الفاصلة في مواضع عدَّدها، ومنها تأخير ما حقه أن يقدَّم، ويعني به العاملَ الذي تَقَدَّمَ معمولُهُ عليه[(٢)].

والظنُّ بمفسر غارقٍ في البلاغة خبيرٍ بأساليبها كابن عاشور أنه لا يعزب عنه دور الفواصل في تتميم المعاني، واعتدال نسق الكلام وحسن تأليفه بما يحقق أعلى درجات الفصاحة، وذروة سنام الإعجاز.

وفي هذا الإطار نفهم تعليل ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديم المجرور على عامله برعاية الفاصلة وفق ما تقرر في كلام بنت الشاطئ الذي سبقت الإشارة إليه، وما أشار إليه الزركشي بالفصل الذي عقده في برهانه، والله تعالى المستعان.

---

(١) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي - المكتبة العصرية- بيروت بلا طبعة ولا تاريخ. (ص: ٢٩٨).

(٢) البرهان في علوم القرآن ١/ ٦٠-٦٢.

المطـــلب الثاني

تقديمُ المجرورِ على عامِلِهِ لغرضٍ واحدٍ قليـــلِ الـــدَّوْرِ في القـــرآنِ الكـــريمِ.

وفيــه التقديم للأغراض الآتية:

أولا: التَّنبـيـــــــــه.

ثانيًا: الإجمال قبل التفصيـــل.

ثالثًا: مـراعـــاة النظـــير.

رابعًا: التشـــــويـــقُ.

خامسًا: إفـادة معنى الشـــرط.

سـادسًا: للتَّقَـوِّي والتأكيـــد.

سابعـا: التعـــريـــض.

سبق أنّ تقديم المجرور على عامله لغرض واحدٍ اقتضاه عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ منه ما ورد في كلامه كثيرا مكرَّرًا، متناولا مواضع كثيرة من تقديم المجرور على ما عمل فيه، ومنه ما وجد مذكورا في تفسيره مرة واحدة، أو بضع مراتٍ، وفي المطلب السابق عرضَتِ الدّراسةُ لما كثر دورُهُ من أغراض تقديم المجرور على عامله، وفي هذا المطلب نعرض للشق الآخر وهو ما لم يكثر دوره من تلك الأغراض البلاغية المفردة لتقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

❁ أولا: تقديم المجرور على عامله لغرض التنبيه.

التنبيه: التوعية والتفطينُ ولفت النظر، ويَرِدُ مع الفعل نبَّهَ حرفَا الجرّ «إلى» و «على»، فيقال: نبهه إلى الأمر، ونبَّه عليه بكذا[(١)].

والمراد هنا تفطين وتوعية السامع من أول الأمر بتقديم المجرور إلى شيء معينٍ لم يكن ليتنبَّهَ له بدون هذا التقديم، أو لولاه لفهم خلاف المراد.

وتقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ لغرض التنبيه ورد في مواضع ثلاثة، موضعان منها في التنبيه على أن المجرور المقدَّم خبرٌ لانعت، وهذا خاص بتقديم الخبر المسند المجرور على المبتدأ المسند إليه المؤخر، وموضعٌ واحدٌ فقط في التنبيه على أن العطف من عطف المفردات لا من عطف الجمل.

فأما الموضعان اللذان علَّلَ فيهما ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقدُّم المجرور (الخبر المسند) على عامله (المبتدأ المسند إليه) بأن ذلك حصل تنبيها على أن المجرور المقدم خبرٌ لا نعت فهما:

١- قوله تعالى: ﴿ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [البقرة][(٢)].

٢- وقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ... ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة][(٣)].

ففي الموضعين نصَّ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن علة تقديم (الجار والمجرور) هي التنبيه على أنه خبر، ولو أُخِّر لأوهم أن يكون نعتًا، في حين أنه في واقع الأمر خبر مقدم على عامله المبتدأ المؤخر.

---

(١) ينظر: معجم الصواب اللغوي د/ أحمد مختار عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب – القاهرة– الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م. [٤٩٥٤ – نَبَّه على] (١/ ٧٤٨).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١/ ٢٨٢.

(٣) ينظر: السابق ١١/ ١٩.

وعامل الرفع في المبتدأ -على مذهب سيبويه، وعليه جمهور البصريين- معنويٌ وهو الابتداء، وعامل الرفع في الخبر لفظي وهو المبتدأ (المسند إليه)، سواء تقدم المبتدأ على الأصل، أم تقدم الخبر لغرض بلاغيٍّ ومسوِّغٍ معنويٍّ كما هنا، أو أنهما يترافعان كما يرى الكوفيون[1].

وعليه ففي الآية الأولى: ﴿عَذَابٌ﴾ مرفوع بالابتداء و ﴿أَلِيمٌ﴾ نعتٌ للعذاب، وخبر المبتدأ هو الجار والمجرور المقدم ﴿وَلَهُمْ﴾[2]، مرفوع بالمبتدأ، وكان حق المبتدأ التقدُّم للصدارة، وحق الجار والمجرور التأخر، لكن هذا الترتيب الأصلي المألوف خولف هنا ليَتَنَبَّهَ السامع إلى أن الجار والمجرور خبرٌ وليس نعتا؛ إذ لو أُخِّر المجرور فقيل: (وعذابٌ أليمٌ لهم) لتُوُهِّم أن الجار والمجرور من تمام نعوت العذاب؛ لأن احتياج النكرة إلى النعت أشدُ من احتياجها إلى الخبر، ولبقيت النفس متشوِّفة إلى ورود الخبر، وليس ثمت خبرٌ منتظَر، بل الحقيقة أن الخبر مصرَّحٌ به، ولِدَفْعِ هذا التوهم، ولتَفْطِينِ السامع إلى الخبر المصرَّحِ به عُكِس الترتيب، وقُدِّمَ الجار والمجرور (الخبر) تنبيهًا على ذلك.

وكذلك الأمر في الآية الثانية، فإن قوله: ﴿ مُنَافِقُونَ ﴾ مرفوع بالابتداء، وهو مؤخر في الذكر، وخبره هو الجار والمجرور المقدم في قوله: ﴿ وَمِمَّنْ﴾[3]، والخبر مؤلَّفٌ من (مِنْ) الجارّة، أدغمت نونُها في ميم مجرورِها وهو: (مَنْ) الموصوله، أي: ومن الذين هم كائنون حولكم منافقون، وهما معًا جار ومجرور شبه جملة في محل رفع خبر مقدم عن المبتدأ ﴿ مُنَافِقُونَ ﴾، وقُدِّم الجار والمجرور

---

(١) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحمد بن يوسف بن أحمد الحلبي، المعروف بناظر الجيش (ت: ٧٧٨ هـ)، تحقيق: أ. د/ علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام - القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ. (٢/ ٨٥٣).

(٢) ينظر: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد المنتجب الهمذاني (ت: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح - دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦ م، (١/ ١٥٤)، والجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت- الطبعة: الرابعة: ١٤١٨ هـ (١/ ٤٩).

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي - الناشر : عيسى البابي الحلبي - القاهرة - مصر، دون طبعة أو تاريخ (٢/ ٥٧)، والكتاب الفريد ٣/ ٣١٢.

لتنْبِيهِ السامع على أنه خبر وليس نعتًا؛ إذ لو أُخِّر المجرور فقيل: (ومن الأعراب منافقون ممن حولكم) لتُوُهِّم أن الجار والمجرور (ممَّن) نعت للمبتدأ؛ لكونه نكرة محتاجة إلى التعريف، والجمل بعد النكرات صفات، ولدفع ما قد يختلج في نفس السامع أن شبه الجملة نعتٌ قُدِّمَ على المبتدأ تنبيها على أنه خبر.

وأما الموضع الذي علَّلَ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديم المجرور على عامله فيه بأنه جاء تنبيها على أن العطف من عطف المفردات لا من عطف الجمل، فذاك قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا... ﴿٥٠﴾ [هود]، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وتقديم المجرور للتنبيه على أن العطف من عطف المفردات لا من عطف الجمل؛ لأن الجارَّ لا بُدَّ له من مُتَعَلَّقٍ، وقضاءً لحق الإيجاز؛ ليُحْضَرَ ذكرُ عادٍ مرتين بلفظِهِ ثمَّ بضمِيرِه"[(١)].

الأصل في العطف هو عطف المفردات لا عطف الجمل[(٢)]، إلا أن عطف الجمل أوسع منه؛ لأن عطف الجمل عطفٌ صوري[(٣)]، وقد اختلف معربوا القرآن الكريم في اعتداد العطف هنا من عطف الجمل أو من عطف المفردات.

فابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرى أن العطف هنا من عطف المفردات؛ لأنَّ المجرور يحتاج عاملا يتعلق به، وهو هنا فعل الإرسال المصرح به سلفا في صدر قصة نبي الله نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع قومه في الآية: [٢٥] من السورة الكريمة، فهو يرى أنه لا حاجة إلى إضمار عامل آخر من لفظه يتعلق به المجرور: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾؛ لكون العامل مصرحا به هنالك، ولا يضر طول الفصل؛ لأن عطف المفردات هو الأصل، فقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ عنده معطوفٌ على المجرور ﴿ إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ ﴾ [هود: ٢٥]، والتقدير: وأرْسلنا إلى عادٍ أخاهُم هُودًا، عطفا على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾ [هود].

ولو أُخِّر المجرور إلى موطنه الأصلي كمتعلَّق من متعلَّقات الفعل لكان التقدير: وأرسلنا هودًا أخا عادٍ

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٩٤.

(٢) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد ٧/ ٣٤٥٤، والتحرير والتنوير ٣/ ١٦٥.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير ٤/ ٧٥.

إلى عادٍ، ولتعيَّن على هذا أن يكون العطف عطفَ جملٍ، مع ما فيه من فوات الإيجاز بتكرار لفظ عاد، وكان بالإمكان الاستغناء عنه بقديم المجرور، وذلك ما لم يرق لابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فجعله من عطف المفردات.

ويرى الجمهور أن العطف هنا من قبيل عطف الجمل باعتبار أنه الأوسع، ولطول الفصل بين المتعاطفين، ولصحة تقدير عاملٍ من لفظ الأول يتعلق به المجرور، وقدَّره النحاة: وأرْسلنا إلى عادٍ أخاهُم هُودًا[1]، وهو عين تقدير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إلا أن تقديرَه تقديرُ معنى، وتقديرَ النحاة تقديرُ إعرابٍ. والله أعلم.

❁ ثانيًا: تقديم المجرور لغرض الإجمال قبل التفصيل.

الإجمال: إيراد الكلام على وجه يحتمل أمورا متعددة، والتفصيل تعيين بعض تلك المحتملات أو كلها[2].

والإجمال في عرف الأصوليين هو: خفاء المراد بنفس اللفظ خفاءً لا يدرك بالعقل بل ببيان من المجمِلِ، سواء كان ذلك لتزاحم المعاني المتساوية الأقدام كالمشترك، أو لغرابة اللفظ وتوحّشِهِ من غير اشتراك فيه كالهلُوع، أو باعتبار إبهام المتكلّم الكلام، فالمجمل إذًا ثلاثة أنواعٍ: نوع لا يفهم معناه لغة قبل تفسيره كالهلوع في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [المعارج]، ونوع معناه معلوم لغة لكنه ليس بمراد كالربا والصلاة، ونوع معناه معلوم لغة إلّا أنّه متعدّد المدلول كالمشترك، فالخفاء في المشترك باعتبار الوضع، وفي قَسِيمَيْهِ باعتبار غرابة اللفظ، وإبهام المتكلّم[3].

وقد وظَّف ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديمَ المجرور هنا في إفادة الإجمال قبل التفصيل في موضع واحد مبينا الفائدة المترتبة على ذلك الإجمال الذي أعقبه التفصيل، وذلك عند تفسيره قولَ الله تعالى: ﴿قَالَ

---

(١) ينظر: مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (ت: ٤٣٧ هـ)، تحقيق د. حاتم صالح الضامن – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ (١/ ٢٩٦)، والتبيان في إعراب القرآن ١/ ٥٧٨، والكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ١/ ٤٨١، والجدول في إعراب القرآن ١٢/ ٢٨٧.

(٢) كتاب التعريفات للشريف الجرجاني (ص: ٩).

(٣) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي محمد بن علي ابن القاضي محمد الحنفي (ت: بعد ١١٥٨ هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – الطبعة: الأولى – ١٩٩٦م. (٢/ ١٤٧٤).

رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ ﴾ [طه]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما تقديم هذا المجرور على متعلَّقِهِ(١) فلِيحصُلَ الإجمالُ ثم التفصيلُ، فيفيد مفاد التأكيد من أجل تكرر الإسناد"[٢].

وقد تركز حديث العلماء هنا ومنهم ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول مسألتين:

المسألة الأولى: زيادة ﴿ لِي ﴾ مع الفعلين ﴿ ٱشۡرَحۡ ﴾، و﴿ وَيَسِّرۡ ﴾ مع إمكان استقامة الكلام بدونها، وقد تواطأتْ أجوبتُهم عن ذلك، بأنها مزيدة لتوكيد الكلام، وتفخيم الأمر وتعظيمه، فيكتسي الكلام بزيادتها من تأكيد الطلب لشرح الصدر وتيسير الأمر ما لا يكون بدونها[٣].

كما أفادت زيادتُها تفخيمًا للأمر وتعظيمًا بإبهام كلٍّ من المشروح والميسَّر في بادئ الأمر، ثمَّ تفسيرهما في تاليهِ، فإن قوله تعالى: ﴿ ٱشۡرَحۡ لِي ﴾، ﴿ وَيَسِّرۡ لِيٓ ﴾ يفيد طلبَ شرحٍ لشيء مَّا وتيسيرٍ لشيء مَّا عنده، وقوله تعالى: ﴿ صَدۡرِي ﴾، و﴿ أَمۡرِي ﴾ يفيد تفسيرَهما وبيانَهما، سيَّما وأن المقام مقام إرسالٍ، وهو مقتضٍ هذا التأكيد؛ لكونه مَظِنَّةَ تلقِّي المكارِهِ والشدائِد[٤]، فضلا عمَّا في هذه الزيادة من إفادة أن منفعة شرح الصدر، وتيسير الأمر عائدة عليه وراجعة إليه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[٥].

كما أفادت زيادة اللام في (لي) معنى التعليل، أي: اشرح صدري لأجلي، ويسر أمري لأجلي، وهي اللام الملقبة بلام التبيين التي تفيد تقوية البيان وتوكيده، وهو هنا ضرب من الإلحاح في الدعاء لنفسه[٦].

المسألة الثانية: تقديمُ ﴿ لِي ﴾ على متعلَّق الفعلين في الآيتين وتكريرُها، فمتعلَّق الفعل في

---

(١) مراده هنا تقديم المجرور على متعلق الفعلين (اشرح)، و(يسر)، وهما المفعولين (صدري)، وأمري.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢١١.

(٣) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي (ص: ٢٨٣).

(٤) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني محمد بن عبد الرحمن بن عمر، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي- دار الجيل – بيروت- الطبعة: الثالثة، دون تاريخ. (٣/ ١٩٧).

(٥) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ/ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلويّ الهرريّ، إشراف ومراجعة: د/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م. (١٧/ ٣٠٣).

(٦) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢١١.

الأولى: ﴿صَدْرِى﴾، وفي الثانية ﴿ أَمْرِى ﴾، وهذا التقديم للمجرور عليهما أفاد إجمالا أعقبه تفصيلٌ، مع ما في التقديم والتكرير من إظهار مزيدِ العناية بشأن مطلوبَيْ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفضل اهتمامٍ باستدعاء حصولهما له واختصاصهما به[1].

ثالثًا: تقديم المجرور على عامله لغرض مراعاة النظير.

مراعاة النظير: فنٌّ من فنون البلاغة، ومحسن من محسناتها البديعية، ومن إطلاقاتها عند أرباب البيان: التناسب، والتوفيق، والمؤاخاة، والائتلاف، وحدُّها: أن يجمع المتكلمُ بين أمرٍ وما يناسبُه لا على سبيل التضاد، لتحصل المطابقة، وشاهدُها العَلَمُ في القرآن الكريم آيتا سورة الرحمن: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝٥ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾، فضمَّ النظير إلى نظيره فيهما، فالشمس والقمر من الكواكب، والنجم والشجر من النباتات.

ومراعاة النظير كما تقع بين معنيين أو أكثر تقع بين لفظين أو أكثر، فالأولى من المحسنات البديعية المعنوية، وهذه الأخيرة من اللفظية، وهي من الأساليب التي تستدعيها الأغراض المعنوية، وتقتضيها الأحوال، فإذا كان التناسب بين أول الكلام وآخره سمي تشابه الأطراف، وهو نوع من أنواع مراعاة النظير[2]، وقد نظمها السيوطي في عقود الجمان بقوله:

ثُمَّ مُرَاعَاةُ النَّظِيرِ جَمْعُ ∴ أَمْرٍ وَمَا نَاسَبَهُ وَيَدْعُو
تَنَاسُبًا فَإِنْ مُنَاسِبًا خُتِمْ ∴ مُبْتَدَأٌ تَشَابُهَ الأَطْرَافِ سَمْ[3]

---

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٦/ ١٢.

(٢) ينظر: ينظر: مفتاح العلوم للسكَّاكي (ص: ٤٢٤)، والإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني (ص: ٣٢٣)، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح (٢/ ٢٣٤)، وخزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تقي الدين أبي بكر بن علي بن عبد الله الحموي (ت: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو- دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروتالطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م. (١/ ٢٩٣).

(٣) عُقُودُ الجُمَانْ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانْ، وهو نظم لكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩)هـ ناظمه: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق وضبط: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ = ٢٠١٢ م.

وفي التحرير والتنوير ثلاثة مواضع وجَّهَ ابن عاشورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها تقديمَ المجرور على عامله بأنه جاء مراعاةً للنظير، أو ما سمّاه في بعضها المحاكاة[(١)]، إلا أن مراعاة النظير في موضعين منها اقترنت بغرضِ الاهتمام، وفي موضع واحد حصل التقديم لرعاية النظير لا غير، وبما أن هذا المبحث معقودٌ لما قُدّم فيه المجرورُ على عامله لغرض واحدٍ، فسنكتفي بدراسة هذا الأخير هنا، ونرجئ الآخَرَيْنِ إلى المبحث القادم.

يقول ابن عاشورٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾ [طه]: " وتقديم المجرورات الثلاثة على متعلقاتها فأما المجرور الأول والمجرور الثالث فللاهتمام بكون الأرض مبدأَ الخلقِ الأول والخلق الثاني، وأما تقديم وفيها نعيدكم فللمزاوجة مع نظيريه"[(٢)].

ففي هذه الآية الكريمة مجروراتٌ ثلاثةٌ، كلُّها في سياق الحديث عن الأرض، فالضمائر الثلاثة: (منها- وفيها- ومنها) كلها للأرض، ومعنى: ﴿۞مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝٥٥﴾: منها مبدؤُكم؛ فإن أباكم آدم مخلوقٌ من ترابٍ من أديمِ الأرض، وإلى الأرض مصيرُكم بالدفن فيهاإذا مُتُّم وبَلِيتُم، ومن الأرض إخراجكم مرة أخرى بالبعث في القيامة، فبعد الإخراجة الأولى التي هي الخلق إخراجةٌ أخرى بالبعث؛ لأن إخراجَهُم وهم ترابٌ بمنزلة خلقِ آدمَ من ترابٍ[(٣)].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٨-ب/ ٧١، ١٦/ ٢٤٠، ٣٠/ ١٢٢.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ١٦/ ٢٤٠.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج ٣/ ٣٦٠ ، والهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (ت: ٤٣٧ هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م (٧/ ٤٦٥٢)، والبحر المحيط في التفسير (٧/ ٣٤٤)، وتفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة – السعودية – الرياض- الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩ م (٥/ ٢٩٩).

وبالمجيء إلى تقديم المجرورات الثلاثة على عواملها، فإن المجرور الأول متعلقٌ بالفعل ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾؛ إذ هو العامل فيه، وأصل الترتيب مقتضٍ تأخير المجرور عن الفعل؛ لكونه من متعلَّقَاتِهِ، والتقدير (خلقناكم منها).

والمجرور الثاني متعلقٌ بالفعل ﴿نُعِيدُكُمْ﴾، والترتيب الأصلي للجملة يقتضي تأخير المجرور عن فعله؛ إذ هو من متعلَّقَاتِهِ، والتقدير (نعيدكم فيها).

والمجرور الثالث متعلقٌ بالفعل ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾؛ وحق العامل التقدُّم على معموله، فالترتيب المنطقي للجملة تقديره: (ونخرجكم منها).

وقد خولف الترتيب الأصلي في الجمل الثلاث، فقُدِّم المجرورُ، وأُخِّرَ عاملُه المستحق للتقديم، وبلاغةُ القرآن تأبى أن يكون ذلك التقديم دون غرض بلاغيٍّ، أومقتضًى معنويّ، وهو ما أبان عنه ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نصِّه السابق.

ونلحظ أنه غاير بين أغراض التقديم، فأما المجروران الأول والثالث فغرض تقديم المجرور فيهما عنده: هو الاهتمام بالأرض التي منها نشأة البشر الأولى والآخرة؛ وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة]، ويقول تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم]، فهي أصلهم الذي منه تفرَّعوا، ومقرُّهم الذي من بطنه يبعثون.

وأما المجرور الثاني، وهو المتوسط بين السابِقَيْنِ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، فتقديمه ليس ملحوظا فيه ذاك الاهتمام الذي في نظيريه – وإن كان محتملًا –، وإنما الذي اقتضى تقديمَه لونٌ من البديع يجعل الكلامَ أشَدَّ تناسُبًا، وأحسنَ تآخِيًا، وتكتسي معه الجملُ الثلاثُ في تركيبها ائتلافا وتوافقا، وهو بلاغة رعاية النظير.

فإن قلت: ما الحكمة في جعل ابن عاشور التقديم في المجرورين الأول والثالث للاهتمام، وفي الثاني لرعاية النظير؟ وهل ثمت فرق بين الثلاث حتى يغاير في حكمة التقديم؟

قلتُ: لعل ذلك الاهتمام في المجرورين الأول والثالث راجع إلى أن متعلَّق كل منهما غيبٌ جدير بالاهتمام، أولهما خلق آدم من تراب، وذلك خبر غيبٍ لا اطلاع لأحد عليه، وهو من مظاهر القدرة البالغة، والثاني: إخراج الموتي من الأجداث للجزاء، وهو من أمور الغيب التي يجب الإيمان

بها، وقد كثر فيها التكذيب، فاستحق متعلق المجرور في الموضعين مزيد اهتمام، فسُلِكَ بهما مسْلك تُقديم ما حقه التأخير وفاء بحق ذلك الاهتمام.

وأما المجرور الثاني ﴿ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾، فهو متعلق بأمر الدفن في الأرض بعد الموت، وهو أمر مشاهد لا يرتاب فيه مؤمن ولا كافر، فلم يكن حظه من الاهتمام كحظِّ نظيريه، فطُلِبَ بتقديمه- وإلَّم يكن ثَمَّ اهتمامٌ يقتضيه- مشاكلةُ قرينَيْهِ، ورعايةُ نظيريهِ لما في ذلك من ائتلاف الكلام وحسن سبكه وتنسيقه. والله أعلم.

❁ رابعًا: تقديم المجرور على عامله لغرض التشويق.

التَّشويقُ: مصدر شَوَّقَ، وأصل الشَّوقِ: نزوعُ النَّفْس إِلى الشيء وتَعَلُّقها به، وشوَّقه إلى الشيء: أَحْدَثَ فِي نَفْسِهِ رَغْبَةً وَشَوْقًا إليه[(١)].

والتشويق من ضروب البلاغة وأساليبها الراقية، ومن طرقه تقديم ما حقُّه التأخير كالمسند، والمفعول، وبعض متعلَّقات الأفعال، فإن النفس عند تقديم ما حقه التأخير - سيما بعد الإشعار بأهميته، أو فظاعته، أو رفعة شأنه - تبقى مترقبة له، فيتمكن لَدَيْهَا عند ورودِهِ عليها فَضْلَ تمَكُّنٍ، وهو مع ذلك أروعُ في الخطاب، وأجلبُ لقبوله[(٢)].

ومن أغراض تقديم المسند عند علماء البيان إرادةُ التشويق إلى ذكر المسند إليه، وقد ذكروا أنه يكثرُ في مقاميْ المدح والوعظ، وذلك بأن يكون في المسند المتقدم طولٌ يُشَوِّقُ النَّفْسَ إلى ذكر المسند إليه؛ فيكون له وقعٌ في النَّفْسِ ومحَلٌّ من القَبُول؛ لأنَّ الحاصلَ بعد الطلبِ أعزُّ من المُنْسَاقِ بلا تَعَب[(٣)].

وقد أورد ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ التشويق وحده سببا في تقديم المجرور (المسند) على عامله (المسند إليه) في أربعة مواضع[(٤)]، وجعل التشويق أحدَ سببين، أو ثالث ثلاثة أسباب للتقديم المذكور في أربعة مواضع أُخَرَ يأتي ذكرها في المبحث القادم بمشيئة الله تعالى.

---

(١) ينظر: مادة [شوق] في مقاييس اللغة ٣/ ٢٢٩، ولسان العرب ١٠/ ١٩٢.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢/ ٧.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني للتفتازاني ٢/ ١٤٩.

(٤) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٧.

من ذلك ما جاء في تفسير التحرير والتنوير عند هو قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ [فاطر]. يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلِّلًا تقديم المجرور على عامله في هذه الآية: " وقدم المجرور في ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ على المسند إليه للتشويق إلى ذكر المسند إليه؛ حتى إذا سمعه السامعون تمكَّن من نفوسهم تمام التمكن "[1].

فَعِلَّةُ تقديم المجرور على عامله هنا عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ هي إفادة التشويق، والمشَوَّق إليه هنا هو المسند إليه المؤخر؛ إذ التقدير: (والذين كفروا نارُ جهنم لهم)، فالجار والمجرور (لهم) خبر مقدم عن المبتدأ المؤخر (نارُ)، وإنما ساغ الابتداء بالنكرة لأنها تعرَّفت بالإضافة، والجملة الاسمية خبر عن الموصول (والذين).

والسامع قد استحضر الموصول بعنوان الكفر المصرّح به في صلته ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، ولابد لهؤلاء الكافرين من جزاء، وقد أُخِّر هذا الجزاء وقُدم عليه المجرور ﴿ لَهُمْ ﴾ ليفيد أن لهؤلاء عند الله شيئا خصَّهم به، وجعلهُ مستَحَقًّا لهم، لم يصرح به ابتداءً، ولما حصل التقديم والتأخير، تاقتْ النفس إلى الإحاطة بذلك المدخَّر لهم، وتشوقَتْ إلى معرفته، وتطلَّعت إلى الوقوف عليه، وما بلغ الشَّوْقُ منها هذا المبلغَ إلا بتقديم (الجار والمجرور – المسند) وكان حقه التأخير، وتأخير (المسند إليه – المبتدأ) الذي تتم به مع خبره الفائدة المنتظرة.

وحين ورد الجزاءُ بأنها نارٌ تحرق، لا يموتُ ساكنُها ولا يحيَا، يعلو فيها صُراخُهم، ويكثرُ فيها عويلُهم تمكَّنَ المعنى الواردُ في نفسِ السامعِ المتشَوِّقِ تمام التَّمَكُّن.

ولا ينبغي أن يُدَّعى هنا في تقديم المجرور قصرٌ؛ فإن النار ليست مقصورة على الكافرين حتى يُظَنَّ أن التقديم حصل لتحقيق القصر؛ إذ لو أُخِّرَ المجرورُ لَفَاتَ التَّشْويقُ المستفاد من التقديم مع بقاء المعنى صحيحًا، ويكون المعنى حينئذٍ: (والذين كفروا نارُ جهنم لهم)، ولا يمنع أن تكون لغيرهم معهم، فلا وجه لادعاء الحصر من تقديم المجرور، فلم يبق إلا التشويق.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣١٧، وتنظر المواضع الأخر: ١/ ٢٦٠، ٥٧٣، ٢١/ ١٤٢.

❁ خامسًا: تقديم المجرور على عامله لإفادة معنى الشرط.

الشرطُ: تعليقُ شيءٍ بشيءٍ وجودًا وعدمًا، بحيث إذا وُجِدَ الأولُ وُجِدَ الثَّانِي.

والشرطُ أسلوبٌ عربيٌّ له أركانُه وأدواته الموضوعة له أصالة مثل: (إن) وهي أم الأدوات الشرطية، و(مَنْ)، و(مهما)، أو التي تفيد الشرط تضمينًا وإشرَابًا، مثل: (لو) و(لمَّا)، و(إذا)، فـ: (إذا) مثلًا، موضوعة أصالة للظرفية الزمانية وقد تُضَمّن معنى الشرط، إلا أن هذه الأدوات المشْرَبَةَ معنَى الشرْط أدواتٌ غيرُ جازمة.

ومن لطيف ما يذكر في هذا البحث أن تقديم المعمول على عامله -ظرفا كان، أو مفعولا، أو مجرورا - قد يفيدُ معنى الشرطيَّة والتقييد على طريقة التضمين والإشراب، فَيُنَزَّل المعمول المقدَّم منزِلةَ الشرط، فيراعى فيما بعده ما يُراعى في جواب الشرط وجزائه من دخول الفاء للربط بين رُكْنَيِ جملةِ الشَّرط، وإجراء أحكام الشرط عليه في الإعراب، ولم أجد فيما اطلعت عليه من كتب المفسرين من عرض لهذه المسألة وقرَّرها مثل ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهي عند المعنيِّين بالبلاغة من المفسرين كالزمخشري وأبي السعود إشارات من طرف خفي، بل أعياني وجود أثر لهذه اللطيفة حتى في كتب اللغة بلاغة ونحوًا.

وقد عرض ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ لذكر إفادة تقديم المجرور على عامله معنى الشرطية في ستة مواضع من تفسيره، قرَّر في جميعها أن هذا التقديم أَكْسَبَ المجرور معنى الشرطية أو التعليل القريب من الشرطية فدخلت الفاء في جوابه تارة، وتارة يُعامَل معاملة الشرط في الإعراب.

وبما أن هذه اللطيفة من فرائد ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ التي قرَّرها كما لم يقرِّرها غيره فسنقف مع كلٍّ من هذه المواضع الستة وقفةً يسيرة لتجلية معنى الشرطيَّة التي أفادها تقديم المجرور على عامله فيها؛ توفيةً لهذا المقام حقَّهُ.

❁ وأول هذه المواضع الستة هو قول الله تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦﴾ [الأعراف] . قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقُدِّمَ المجرورُ على عامِلِهِ لإفادَةِ معنى التعليل، وهو قريبٌ من الشرط، فلذلك استحق التقديمَ، فإن المجرورَ إذا قُدِّمَ قد يُفيدُ معنى قريبًا من الشرطِيَّة"[(١)].

(١) التحرير والتنوير ٨- ب/ ٤٧.

فقد بنى ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تضمين الجار والمجرورِ معنى الشرط الحكمَ باستحقاقِه التقديمَ؛ لأحقيَّة الشرط بالصدارة، وأُخِّرَ العامل الذي حقُّه التقديم ليحصل الاهتمام بالمتعلَّق؛ إذ كان هو السبب في حصول المتعلِّق به، فالمجرور ﴿ فَبِمَآ ﴾ متعلِّق بالفعل: ﴿ أَغْوَيْتَنِى ﴾، والإغواء هو السبب في القعود ﴿ لَأَقْعُدَنَّ ﴾ فالتقديم للاهتمام، ولأجل الاهتمام انْتُزِعَت أحقيّةُ لام القَسَمِ في صدارتِهَا لجملتِهَا، وبهذا التقديم ترتَّب قعودُ الشيطان للمؤمنين بكلِّ سبيلٍ على الإغواء تَرَتُّبَ الجزاء على شرطه، فحصل من الاهتمام بمتعلَّق المجرور وهو فعل الإغواء ما لم يكن ليحصل لو استقل العامل والمعمول ومتعلقات الفعل كل بترتيبه الأصلي في هذا التركيب من غير تقديم فقيل: (لأقعدنَّ صراطكَ المستقيمَ لهم بما أغويتَني)، ولفات معنى التعليل والشرطية، ولزال ما ترتَّب عليهما من الاهتمام.

۞ **وأما ثاني هذه المواضع الستة** فهو قول الله تعالى: ﴿ ... إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ ﴾[التوبة]، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "و﴿فَمَا ﴾ ظرفية مُضَمَّنةٌ معنى الشرط، والفاء الداخلة عليها فاء التفريع، والفاء الواقعة في قوله: ﴿ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ ﴾ فاء جواب الشرط، وأصل ذلك أن الظرف والمجرور إذا قُدِّمَ على متعلَّقِهِ قد يُشْرَبُ معنَى الشرط فتدخلُ الفاء في جوابه"[1].

فقد أُشرب المجرور بتقديمه معنى الشرطية، فدخلت الفاء في جوابه، وقدِّم المجرور المتضمن معنى الشرط؛ لأن الشرط أولى بالصدارة من الجواب، فكأنه قال: (فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم)، ولولا تضمين المجرور معنى الشرط ما استحق التقديم، ولكان التقدير – كما عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ- (فاستقيموا لهم ما استقاموا لكم، أي ما داموا مستقيمين لكم)، وبناء على تقديم المجرور صارت استقامة المؤمنين للمعاهَدِينَ عند المسجد الحرام مشروطةً بدوامهم هم على الاستقامة وعدم التعدي على معاهدات المسلمين، فاقتضى تقديم الجار والمجرور حصول فائدتين، أولاهما: الشرطية المستفادة من التقديم، وثانيهما: دوام الاستقامة المستفاد من زمانية (ما)، وبذلك يحصل الاهتمام المنشود بالاستقامة وبدوامها لأنهما عصب المعاهدات، وقطبها الذي عليه تدور.

---

(١) التحرير والتنوير ١٠/ ١٢٢.

۞ **وأما ثالث تلك المواضع** فهو قول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس]. يقول ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولما قُدم المجرور وهو ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ حصل بتقديمه معنى الشرط، فقرنت الجملة بعده بالفاء التي تربط الجواب؛ لقصد إفادة معنى الشرط، وهذا كثير في الاستعمال"[(١)].

فتقديم المجرورين المتعاطفين ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ على العامل فيهما وهو: ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ أفاد أن الفرح الحقيقي متسبب عن فضل الله ورحمته لا عن غيرهما تسبُّبَ الجزاءِ عن الشَّرط، "كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منهما"[(٢)]، وفيه من مقتضيات التلازم بينهما ما ليس فيه لو أخر فقيل: (ليفرحوا بفضل الله وبرحمته).

۞ **ورابع تلك المواضع** قول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص]. قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... واقتران جملة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ بالفاء لأن الموصول كثيرا ما يعامل معاملة اسم الشرط فيقترن خبره ومتعلَّقه بالفاء تشبيها له بجزاء الشرط، وخاصة إذا كان الموصول مجرورًا مقدَّمًا فإنَّ المجرورَ المقدَّمَ قد يُقصد به معنى الشرطيَّة فيُعامل معاملةَ الشَّرط"[(٣)].

فالمجرور المقدَّمُ هنا هو (ما)، وهي تحتمل الموصولية كما ذهب إليه ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والتقدير: (بالذي أنعمت عليَّ)، وتحتمل المصدرية أي: (بإنعامك عليَّ)[(٤)]، وتقديم (ما) المجرورة على كلا التقديرين صبغ الأسلوب بصبغة الشرطية التي جعلت تعهُّد موسى بترك مظاهرة المجرمين

---

(١) التحرير والتنوير ١١/ ٢٠٤.

(٢) الكشّاف ٢/ ٣٥٣.

(٣) التحرير والتنوير ١١/ ٢٠٤.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ = ٢٠٠٠ م.(١٩/ ٥٤١).

على طريقة النفي المؤبد بـ: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ متسبِّبًا عن إنعام الله عليه وإحسانه إليه، فالسببية والمسببية هنا من ثمرات معنى الشرطية التي اكتسبها المجرور بتقدُّمه، والمعنى: بإنعامك علي وبسبب إحسانك إليَّ وغفرانك لي فأنا ملتزم ألَّا أكون معينًا لِلْمُجْرِمِينَ[1].

وخامس تلك المواضع قول الله تعالى: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين]. قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... وإما أن تكون الفاء فاء جوابٍ لشرطٍ مقدَّر في الكلام يؤذنُ به تقديمُ المجرور؛ لأن تقديم المجرور كثيرا ما يعامل معاملةَ الشرط ... فالتقدير: إن علمتم ذلك فليتنافس فيه المتنافسون"[2].

فالفاء الداخلة على الفعل المضارع في ﴿ فَلْيَتَنَافَسِ﴾ محتمِلةٌ أوجهًا ثلاثةً عند ابن عاشور، فهي إما فصيحةٌ، وإما تفريعيَّةٌ، والوجه الثالث – وهو المعني هنا- أنها فاء الربط الداخلة على جواب الشرط لربطه به، غير أن الناظر في سياق الآية لا تبصر عيناه أداةً من أدوات الشرط الجازمة أو حتى غير الجازمة؛ ذلك لأنه شرط مقدَّرٌ تضمنه المجرورُ المتقدم وفق ما سبق تقريره في الأمثلة السابقة، فكأنه قال: إن علمتم الأوصاف لهذا الرحيق فليتنافس فيه المتنافسون، فقرنت جملة الجواب بالفاء الرابطة لقصد إفادة معنى الشرط، فيتسبب التنافس عن العلم بأوصاف الرحيق كتسبب الجواب عن شرطه، فتقوى فيه الرغبة، ويزداد عليه الإقبال.

وسادس تلك المواضع وهو آخرها قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾ ﴾ [الشرح]. قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أن الفاء في قوله: ﴿ فَٱنصَبْ ﴾ وقوله: ﴿فَٱرْغَب﴾ رابطةٌ للفعلِ؛ لأنَّ تقديمَ المعمولِ يتضمَّنُ معنى الاشتراط والتقييد، فإن تقديم المعمول لما أفاد الاختصاص نشأ منه معنى الاشتراط، وهو كثير في الكلام"[3].

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، - دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ. (٤/ ٢٨١).

(٢) التحرير والتنوير ٣٠/ ٢٠٧.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠/ ٤١٨.

تعددت أقوال المفسرين في معنى النصب في قوله: ﴿ فَٱنصَبۡ ﴾، ومردُّ تأويلاتهم إلى معنيين هما: التعب والإعياء، أو الكدُّ والاجتهاد، والمعنى: إذا خلوت من شُغلٍ الدّنيا أو من عبادةٍ ما فاجتهد في الطاعة أو في الدعاء، فبعد الفراغ من شغل الدنيا يكون الاجتهاد في الطاعة، وبعد الفراغ من العبادات يكون الاجتهاد في الدعاء.

فارتبط النصَبُ في الطاعة والاجتهادُ في الدعاء بالفراغ من شواغل الدنيا أو من العبادة، كما يرتبط الجواب بشرطه، فبعد كلِّ فراغٍ اجتهادٌ ونصبٌ في العبادة والدعاء، يوجدُ بوجوده، ويتسبَّبُ عنه، وكذلك ترتبط كل رغبة بالله تعالى، والتقدير: إن كنت راغبا فارغب إليه، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على اختصاص الرغبةِ بالله تعالى بألا تصرف لغيره. والله أعلم.

❁ سادسًا: تقديمُ المجرورِ على عاملِهِ لغرض التَّقَوِّي والتأكيد.

التأكيد: تمكينُ الشيءِ في النفسِ وتقويةُ أمرِه، وثمرتُه وفائدتُه إزالةُ الشكِّ وإماطةُ الشبهة عمَّا أنت بصدده[(١)].

والتأكيد منه ما يتعلق بالناحية الإعرابية، ومنه ما يتعلق بالأغراض البلاغية، والأساليب البيانة، وهذا القسم يستعمل كثيرا في القرآن وغيره –وهو المراد هنا– وهو عند أرباب البيان قسمان:

أحدهما: توكيد باللفظ والمعنى كقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرحمن].

والآخـــر: وتوكيدٌ بالمعنى فقط[(٢)]. ومنه ما نحن بصدده.

وللتوكيد طرائقُ كثيرةٌ، ومسالكُ متعددةٌ مبسوطةٌ في مظانِّها من تصانيف علماءِ البيانِ، وسنقصرُ الحديثَ هنا على التوكِيدِ المستفادِ من تقديمِ المجرورِ على عامِلِهِ.

نصَّ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن تقديمَ المجرورِ على عاملِهِ قد يكون غرضه المقصود، ومفادُه المنشود تقويةُ المعنى وتوكيدُه، فيُفيدُ تقريرَ المؤكَّدِ وتمكينَه في ذهنِ السَّامع.

---

(١) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ (ت: ٧٤٥هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت– الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ (٢/ ٩٤).

(٢) ينظر: السابق (٢/ ٩٤– ٩٧).

وقد أورد الشيخُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الغرضَ البلاغيَّ منفردا في موضعٍ واحد من تفسيره، وعدَّه من مقتضيات البلاغة في تقديم المجرور على عامله، وذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الزخرف]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وتقديم المجرور في ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ لقصد التَّقَوِّي؛ إذ ليس المخاطبون بمثبتينَ رُجْعَى إلى غيرِه، فإنهم لا يؤمنون بالبعث أصلا"[1].

فالغرض البلاغي المقصود من تقديم المجرور على فعل الرجوع العامل فيه هنا هو توكيد الرجوع إلى الله تعالى وتقويتُه لدي المخاطبين المنكرين لأصل الرجوع، والمنكِرُ يساقُ له الخبرُ مؤكَّدًا لإزالة إنكاره وشكِّهِ، وإثباتِ حصول ما استبعده وأنه واقع لا محالة، ولا يستقيم ادعاء الاختصاص أو الحصر في تقديم المجرور هنا؛ لأن المخاطب ليس مترددا حتى تُعيَّن له جهة الرجوع مثلا على سبيل قصر الإفراد أو التعيين؛ فليس المراد إفرادُه سبحانه بالرجوع إليه دون غيره، ولكن المراد أن يتقرر أصلُ الرجوع في ذهن السامع المنكر، ويتحقق أنه مرجوع إلى الله تعالى للحساب والجزاء. والله أعلم.

❁ سابعًا: تقديمُ المجرورِ على عاملِهِ للتعـــريض.

التعريض: خلاف التصريح، يقال: عرَّضتُ لفلانٍ أو بفلانٍ إذا قلتَ قولا وأنتَ تعنيهِ، وهو مشتَقٌّ من قولهم: عَرَضَ له كذا، إذا عنّ له أمرٌ خلافُ التَّصريحِ فيؤثرُهُ ويقصدُه[2].

وله في اصطلاح البيانيين تعاريف عدة من أشهرها تعريف شهاب الدين النويري بقوله: "تضمينُ الكلامِ دلالةً ليس لها ذِكْرٌ، كقولك: ما أقبح البخل! لمن تُعَرِّضُ ببُخْلِهِ"[3]، فَيُكَنِّي المتكلِّمُ بشيءٍ عن آخرَ لا يصرِّحُ به؛ ليأخذَه السامعُ لنفسه ويَعْلَمَ المقصودَ منه[4].

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ٢٦٩.

(٢) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ١/ ١٩٢.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي شهاب الدين النويري (ت: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ (٧/ ٦٠).

(٤) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ٢/ ٤٠٧.

والتعريض من الأساليب العربية الراقية العريقة، وهو مستعمل في كلامهم كثيرًا، وهو معدود عندهم ألطف وأحسن من الكشف والتصريح، ويعيبون في الرجل المكاشفة التي لا يمازجها تعريض.

والتعريض مستعمل في القرآن بكثرة، ومن جملة وسائله تقديم ما حقه التأخير، وهو ما أشار إليه ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليل تقديم المجرور على عامله في موضع واحد وهو قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [المؤمنون]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فتقديم المجرور في ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، تعريض بالتهديد بأنهم محشورون إلى الله فهو يجازيهم"(١).

ففي تقديم المجرور هنا إلماحٌ إلى تخويفٍ وتهديدٍ للمخاطبين بأنهم مجموعون إليه يوم القيامة بعد تفرّقهم، فالذي أنشأهم وبثَّهم في الأرض بالتناسل هو من سيُحشرون إليه للحساب والجزاء، على أنه لا يمتنع مع إرادة التهديد تعريضًا أن يُراد الحصر الحقيقي كما تفيده نظائر هذا الموضع في القرآن الكريم، فالحشر في الآخرة مقصور على الله تعالى قصرا حقيقيًّا، فلا محشور إليه إلا هو سبحانه، ويكون هذا الموضع مما أفاد فيه تقديم المجرور غرضين اثنين، أحدهما تصريحًا، والآخر تلميحًا.

(١) التحرير والتنوير ١٨/ ١٠٥.

المبحث الثاني

تقديمُ المجرورِ علَى عامِلِهِ لأكثرَ من غرضٍ

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تَقْديمُ المجْرُورِ على عامِلِهِ لغرضَيْن.
- المطلب الثاني: تقديمُ المجرورِ على عامِلِهِ لثَلاثَةِ أغْرَاضٍ.

توطـئة:

أسـلفتُ أن المـروم في هـذا البحـث بيـانُ المقتضَـيات المعنويّـة، والأغـراض البلاغيـة التـي ارتكزعليها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليـل تقديم المجرور على عامله، وبيَّنَّا أنه تـارة يكـون الغـرض مفردًا، أي: يكون تقديم المجرورلعلَّةٍ واحدة، وتارةً يكون التقديم لأكثر من عِلَّة، وهذه الأكثرية هي ما بين غرضين وثلاثة أغراض، وهو ما اقتضى تقسيم هـذا المبحـث مطلبيْن، أولهمـا: لمـا قـدِّم فيـه المجرور على عامله لغرضين اثنين، والثاني: لما قدِّم فيه المجرور على عامله لثلاثة أغراض.

المطـــلب الأول

تَقْديمُ المجْرُورِ على عامِلِهِ لغرضَيْن.

وفيـــــــه ما يأتي:

أولا: تقديم المجـرور على عامل ـــه للاهتمام مع رعاية الفاصلـة.

ثانيا: تقديم المجـرور على عامله للاهتمام مع الحصر وما في معناه.

ثالثًا: تقديم المجـــــرور على عامل ـــه للاهتمام مـــع التشـــويـق.

رابعا: تقديم المجـرور على عامله للاهتمام مع مـــراعـــاة النظيـر.

خامسًا: تقديم المجـرور على عامله للتَّقوِّي مع القصر أو مع رعاية الفاصلة.

۞ أولا: تقديمُ المجرورِ على عاملِهِ للاهتمَامِ مع رعَايَةِ الفَاصِلَة.

سبق في المبحث الأول أن وقفنا مع الاهتمام ورعاية الفاصلة وقفة تعريف وتأصيل، وكذا أغلب الأغراض البلاغية التي سترد في هذا المبحث، والمقصود هنا بيان ما وجَّهَ فيه ابنُ عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديمَ المجرور على عامله بأنه جاء تحقيقًا لغرضَيِ الاهتمامِ ورعايةِ الفاصلةِ.

أوردَ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ هاتيْنِ العلَّتَيْن، وذَيْنِكَ الغرضيْن في بيان سبب تقديم المجرور على عامله فيما يربو على خمسين موضعًا من تفسيره، أفاد فيها تقديم المجرور فائدتين إحداهما من المعاني وهي الاهتمام، والأخرى من البديع وهي رعاية الفواصل، أو هما جميعا من المعاني على قول بعض علماء البيان كما مر بيانه في المبحث الأول.

۞ **من ذلك:** تعليل ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديمَ المجرور على عامله في قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأنعام]: "وتقديم المجرور على عامله في قوله: ﴿لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ لرعاية الفاصلة، مع الاهتمام بمعاد الضمير: ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾"[(١)]، فقد أفاد كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن تقديم المجرور على عامله هنا تحقَّقَ به غرضان:

أحدهما: مراعاة ائتلاف الفاصلة مع ما أحاط بها من جانبيها من الفواصل سباقا ولحاقا ﴿يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ - ﴿بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ - ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾، وقد حصل اتفاقها مع ما سبقها في الحرف الذي بُنيت عليه الفاصلة، مع كون الذي قبله فيهما حرف مد ولين، كما حصل اتفاقها مع ما لحقها في الحرفين الذي بُنيت عليه الفاصلة، والذي قبله، ولا يخفى مافي تآلف الفواصل من إظهار بلاغة القرآن، وحسن تأليف الكلام.

والآخر: الاهتمام بمرجع الضمير ﴿بِهَا﴾، وهو إما النبوة خاصة باعتبارها أقرب مذكور، واستظهره أبو حيَّان في البحر[(٢)]، أو باعتبارها جامعة للباقيْنِ كما حققه أبو السعود[(٣)]، أو إلى الثلاثة ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾، كما أفادته عبارة ابن عاشور، وأجاز الوجهين الزمخشري وأبو السعود[(٤)].

---

(١) التحرير والتنوير ٧/ ٣٥٤.

(٢) ينظر: البحر المحيط في التفسير ٤/ ٥٧٧.

(٣) ينظر: إرشاد العقل السليم ٣/ ١٥٩.

(٤) ينظر: الكشاف ٢/ ٤٣، وإرشاد العقل السليم ٣/ ١٥٩.

فتقديم المجرور مُليحٌ بأهمية الثلاثة المشار إليها التي أُمرنا بمراعاتها والقيام بحقوقها، وقد وكَّل الله تعالى للإيمان بها ورعاية حقوقها أقواما من الأنبياء المذكورين وأتباعِهم، ففي إيمانهم بها غنية عن إيمان الكفار. وفي التعبير عن رعايتهم لحقوق النبوة بالتوكيل الذي أصله: حفظ للشيء ومراعاتُه إيذانٌ بفخامتها وعلوها، وأنه مما ينبغي أن يُقْدَر قدرها قياما بحق الوكالة، وعهد الاستحفاظ[1].

۞ **ومن ذلك:** ما خـرَّج عليه ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديمَ المجرور على عامله في قوله تعالى: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٠﴾ [يس]، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... وتقديم المجرور على ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ للاهتمام بالرسول المشعر باستفظاع الاستهزاء به، مع تَأَتِّي الفاصلة بهذا التقديم، فحصل منه غرضان من المعاني، ومن البديع"[2].

فقد نصَّ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن تقديم المجرور على عامله هنا اقتضاه غرضان بلاغيَّان من أغراض التقديم والتأخير، **أحدهما:** الاهتمام بمرجع الضمير، وهو ﴿رَّسُولٍ﴾ تأكيدا على رفعة مقام الرسول، وأنه مستحقٌّ للتوقير، و تنبيها على خطر الاستهزاءِ به، وشؤمِ ما جلبهُ الاستهزاءُ على أصحابه من الحسرة والندم والكآبة.

والآخر: رعاية المشاكلة في الفواصل حيث اتفقت هذه الفاصلة مع التي قبلها والتي بعدها في الحرفين، الأخيرِ والذي قبله ﴿خَٰمِدُونَ ۝١٩﴾ - ﴿يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٣٠﴾ - ﴿يَرۡجِعُونَ ۝٣١﴾، وقد صرَّح ابن عاشور أن الاهتمام مرده إلى علم المعاني، ورعاة الائتلاف في الفواصل من علم البديع.

وقد أفـاد ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بعض نظائر هذا الموضع أن المجرور قدم ليفيد القصر للمبالغة؛ لأنهم لما كانوا يكثرون الاستهزاء برسلهم وصار ذلك سجية لهم نُزِّلوا منزلةَ من ليس له عملٌ إلا الاستهزاء بالرسول[3].

ولو أُخِّر المجرور إلى مكانه الذي يستحقُّه بعد عامِلِهِ فقيل: (إلا كانوا يستهزءون به) لفاتتْ هذه الأغراض ، فأصيب بتقديمه البلاغة من كل سبيل.

۞ ۞ ۞

---

(١) ينظر: محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود ـ دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ. (٤/ ٤٢٢).

(٢) التحرير والتنوير ٢٣/ ٩.

(٣) التحرير والتنوير ١٤/ ٢٣.

❁ ثانيا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع إفادة القصر وما في معناه.

من أكثر الأغراض التي يقدم المجرور على عامله لأجلها عند ابن عاشور الاهتمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ويليه القصر وما في معناه (الحصر – الاختصاص – التخصيص)، وقد سبق بنا في المبحث الأول أن الاهتمام عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الأوسع ذكرا، والأكثر ورودا في تعليل تقديم المجرور على عامله، حيث بلغت المواضع التي اعتمد الشيخ الاهتمامَ فيها سببًا في تقديم المجرور على عامله (١٥٠) موضعًا تقريبًا، وأما القصر وما في معناه فعلى النصف تماما من هذا العدد، حيث بلغت مواضعه زهاء (٨٠) موضعًا، كما سبق تقريره في المبحث السابق.

غير أن مواضع اجتماع الغرضين، واتفاق السببين – أعني إفادة الاهتمام مع القصر – في تقديم المجرور على عامله لم يقع عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا في مواضع من تفسيره، عدَّ فيها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديم المجرور على عامله مفيدا كلا الغرضين، ومن هذه المواضع:

- **قوله تعالى:** ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المائدة].

فقد جوَّز ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما تعلق به الجار والمجرور ﴿بِهَا﴾ وجهين[(١)]:

الوجه الأول: تعليقُهما بـ ﴿أَصْبَحُواْ﴾ والباء على هذا للسببية، أي: أصبحوا بسبب تلك المسائل المعاد إليه الضمير كافرين، وعليه فلا تقديم للمجرور على عامله حتى يتكلَّف لذلك غرض أو سبب، بل هو في موقعه الأصلي متأخرا عن العامل باعتباره من متعلقاته.

الوجه الأول: تعليقَهما بـ: ﴿كَٰفِرِينَ﴾، والباء على هذا للتعدية، أي: تعدى كفرهم إلى أجوبة رسلهم فيما أجابوهم به عن تلك المسائل فلم يصدقوهم، وعلى هذا الوجه قُدِّم المجرور على متعلَّقه مفيدا غرضين:

أحدهما: التخصيص وهو بمعنى القصر والحصر، وهو تخصيص ادعائي للمبالغة؛ لأن كفرهم على الحقيقة له أسباب غير التكذيب بأجوبة الرسل على سؤالاتهم، فاعتبر هذا السبب لفظاعة التكذيب كأنه السبب الأوحد لكفرهم، فقصر كفرهم عليه من باب قصر الصفة على الموصوف مبالغة حتى لم كأنه لم يَعتد بأسباب الكفر الأخرى.

---

(١) التحرير والتنوير ٧/ ٦٩.

ثانيهما: هو الاهتمام بشأن تلك المسائل المشار إليها تنبيها؛ للمؤمنين المخاطبين على ضرورة الحذر من الوقوع فيما وقع فيه مكذِّبوا الرسل من التكذيب بأجوبتهم، بل منعهم عن السؤال عما لم يُبْدَ لهم من باب سدِّ الذرائع، والسلامة من ولُوجِ أبواب الفِتَن ومخالفات الرسل.

- **وقوله تعالى:** ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥﴾ [لقمان]، فقد قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شأن تقديم المجرور: ﴿إِلَيَّ﴾ على عامله ﴿مَرۡجِعُكُمۡ﴾ في هذه الآية: "وتقديم المجرور للاهتمام بهذا الرجوع، أو هو للتخصيص، أي: لا ينفعكم شيء مما تأملونه من الأصنام"(١).

فتقديم المجرور هنا دالٌّ على أهمية هذا الرجوع، وفخامة هذا المصير، وأنه جدير بأن يُتأهَّب له، لإنه مصير الحساب على الأعمال، ورجوع الجزاء عليها إثابة أو عقابا.

ومع ذا فهو تقديمٌ مفيدٌ للتخصيصِ، وهو تخصيصٌ حقيقي، خُصَّ فيه الموصوف وهو الله تعالى المشار إليه بياء المتكلم ﴿إِلَيَّ﴾ بصفة الرجوع، فهو من قصر الصفة على الموصوف إيذانًا بأنه لا مرجوع إليه على الحقيقة إلا الله تعالى؛ لأنه مالك يوم الدين والجزاء، والأمر كله يوم القيامة إليه، والمعنى: "إليَّ الرجوعُ لا إلى غيري فأجازيكَ على ما صدر عنك من الشكر والكفر"(٢).

وقد بان من خلال الموضعين كيف أن تقديم المجرور على عامله أفاد غرضين كلاهما من المعاني، وكلاهما غرضان أصليان في تعليل تقديم ما حقه التأخير عند أهل البيان، وهذا من تمام بلاغة القرآن الكريم، ومن لطائف ما حواه النظم القويم.

❁ ثالثا: تقديمُ المجرورِ على عاملِهِ للاهتمَامِ مع التشويق.

في مواضع من تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجدناه يُخَرِّجُ تقديمَ المجرور على عامله بأنه قُدِّم لإفادة غرضي الاهتمام بالمشار إليه أو بالخبر، والتشويق إلى المؤخر، من ذلك:

- **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره قول الله تعالى في فواتح سورة الشورى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ١٦١.

(٢) إرشاد العقل السليم ٧/ ٧٢.

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى] : "وتقديم المجرور من قوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ على ﴿يُوحِيٓ إِلَيۡكَ﴾ إليك للاهتمام بالمشار إليه، والتشويق بتنبيه الأذهان إليه"[(١)].

فقد حصل بتقديم المجرور هنا غرضان من المعاني: **أحدهما:** الاهتمام بالمشار إليه باسم الإشارة (ذا) الذي دخلت عليه كاف التشبيه الجارَّة في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، وفي المشار إليه قولان للمفسرين: إما أنه مصدرٌ مقدَّرٌ مفهوم من فعله المذكور ﴿ يُوحِيٓ ﴾ أي: مثل ذلك الإيحاء الذي أوحي إلى سائر الأنبياء يوحى إليك يا محمد في هذه السورة. وإما أنَّ ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ أُوحِيَتْ إلى من قبْل نبيِّنا من الأنبياء، فتكون الإشارة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ إليها[(٢)].

ولا تخفى أهمية المشار إليه على كلا القولين، فالإيحاء لما فيه من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق، والحروف المقطعة لما سيقت له من الدلالة على التحدي والإعجاز.

والغرض الثاني: هو التشويق إلى المشار إليه الذي هو الإيحاء العجيب، وحقيقته التي تحيّر العقول وتدهش الألباب، وما في الحروف المقطعة من أسرار الإعجاز التي أعجزت فصحاء العرب وأساطين البيان.

- **قوله** رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ۝١١ ﴾ [ق] : "وتقديم المجرور على المبتدأ للاهتمام بالخبر؛ لما في الخبر من دفع الاستحالة وإظهار التقريب، وفيه تشويق لتلقي المسند إليه"[(٣)].

الأصل في ترتيب الجملة الاسمية التي ختمت بها هذه الآية الكريمة أن يُقَدَّمَ المسندُ إليه وهو المبتدأ ﴿ٱلۡخُرُوجُ﴾ على المسند الذي هو الجار والمجرور: ﴿كَذَٰلِكَ﴾، فيقال: (الخروجُ كذلك)، إلا أنه خولف الترتيب، وقدِّم ما حقه التأخير، وهو ما حمل المفسرين على تَلَمُّسِ أغراضِ هذا التقديم.

---

(١) التحرير والتنوير ٢١/ ١٦١.

(٢) ينظر: فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ. (٤/ ٦٠٢).

(٣) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٩٥.

ويرى ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا التقديم حاصلٌ لأجل غرضين بلاغيين اقتضاهما المقام، وتلبيةً لمطلبين دلَّ عليهما الكلام:

أحدهما: العناية بهذا الخبر المقدم؛ لأن فيه تشبيها لأمر البعث الذي أنكره المشركون بالواقع المشاهد الملموس، وهو إحياء الأرض الميتة بالماء النازل من السماء، فيندفع بذلك استبعادهم وقوعَ البعث، ويظهر قُربُه وإمكانُه كما أمكن المشبَّه به، فحصل بتقديم المجرور اهتمامٌ بالغٌ بهذا الخبر، وعنايةٌ بمضمونهِ.

وثاني الغرضين: هو التشويق إلى المسند إليه المؤخر، وهو ﴿ٱلْخُرُوجُ﴾؛ لأنه بتقديم المجرور الدال على وقوع شيء استبعده المشركون، هو في إمكانه شبيهٌ بهذا المشار إليه الممكن، ذهبت النفس في تقدير المسند إليه كل مذهب، وتاقت النفس إلى معرفته، وتطلعت إلى الإحاطة به، وبقيتْ مترقِّبَةً له، فلما ورد المسند إليه، وعُلم أنه الخروج من الأجداث، والقيام من القبور بالانبعاث تمكَّن لَدَيْهَا عند ورودِهِ عليها فَضْلَ تمَكُّنٍ، سيما بعد الإشعار بأهميته ورفعة شأنه بما تحصل من تقديم الخبر.

❁ ❁ ❁

❁ رابعًا: تقديمُ المجرورِ على عاملِهِ للاهتمَامِ مع رعايةِ النظير.

سبق أنَّ التحرير والتنوير اشتمل على ثلاثة مواضع وجَّهَ فيها ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديمَ المجرور على عامله بأنه جاء مراعاةً للنظير، وقد تم تناول أحد هذه المواضع الثلاثة في المبحث الأول وهو الذي مثَّل فيه غرضَ مراعاةِ النظيرِ السببَ الأوحد في تقديم المجرور إلى عامله، وقد أرجأنا الحديث عن الموضعين الآخرَيْنِ إلى هذا المبحث، لأنَّه اقترن غرض رعاية النظير فيهما بغرضِ الاهتمام، وهذا المبحث مخصص لتقديم المجرور على عامله لأكثر من غرض.

فعند تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولَ الله تعالى: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأعراف] قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وتقديم المجرورات الثلاثة على متعلقاتها للاهتمام بالأرض التي جُعل فيها قرارهم ومتاعُهم؛ إذْ كانت هي مَقرَّ جميعِ أحوالهم. وقد جعل هذا التقديم وسيلة إلى مراعاة النظير، إذ جعلت الأرض جامعة لهاته الأحوال، فالأرض واحدة وقد تداولت فيها أحوال سكانها المتخالفة تخالفا بعيدا"[1].

(١) التحرير والتنوير ٨-ب/ ٧١، وينظر أيضا: ٣٠/ ١٢٢.

فقدمت المجرورات الثلاثة على عواملها التي ولِيَتْهَا لإفادة غرضين اثنين، أبرزهما الاهتمام بالأرض التي أعيدتْ إليها الضمائرُ المجرورة الثلاثة؛ وهي محط العناية، ومثار الاهتمام في هذا السياق؛ لأن الله تعالى جعلها مادة الخلق، ومهادَ العيش، وقرارَ الخلق، ومأواهم على ظهرها أحياءً، ومستودَعَهُم في بطنِهَا أمواتًا، ومبعثَهم عند القيام لربِّ العالمين.

والغرض الثاني: بلاغة رعاية النظير، فقد روعي في كل مجرور من هذه الثلاثة نظائرُه المجاورة له في سياقه، فقدمت المجرورات كلها تحقيقا لما تقتضيه بلاغة القرآن الكريم في تناسب عباراته، وحسن التآخِي بين جمله وتراكيبه، وهو من بديع القرآن الكريم، والحديث في هذه الآية لا يبعد عن الحديث في بلاغة رعاية النظير في آية سورة طه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾، وقد مرَّ معنا في المبحث الأول.

❁ خامسًا: تقديمُ المجرورِ على عامِلِهِ للتَّقَوِّي مع القصر أو مع رعاية الفاصلة.

مضى الحديث عن المقصود بالتقوية والتأكيد، وأنهما يعنيان: تمكينَ الشيءِ في النفسِ وتقويته لإزالةِ الشكِّ وإماطةِ الشبهة، وأن من طرائقه ووسائله تقديمُ ما حقُّهُ التأخير كتقديم المجرورِ على عامِلِهِ.

والجديد هنا أن تقويةَ الكلام وتوكيدَه غرضٌ بلاغيٌّ قد لا ينفرد في تعليل هذا النوع من التقديم، بل نراه حينًا ينفرد، وحينًا ينضَمُّ إلى غيره كإفادة القصر، ورَعْي الفواصل، فأما إفادة تقديم المجرور على عامله التقويةَ وحدها فقد سبقت معه وقفَةٌ في المبحث الفائِتِ، وأما إفادتُه التقويةَ منضمَّةً إلى غيرها من الأغراض فهذا موضع بحثه.

عثرتُ وأنا أحصي أغراض تقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من خلال تفسيره التحرير والتنوير على موضعين علَّل فيهما الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقديم المجرور على عامله بأنه حصل لإفادة التقوِّي مضمومًا إليه القصر في أحدهما، ورعاية الفاصلة في الآخر.

فأما تقديم المجرور على عامله لإفادة التّقَوِّي مع القصر ففي قول الله تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنعام]، يقول ابن عاشور "وتقديم معمول ﴿تُحْشَرُونَ﴾ المفيد للتقوي؛ لأن المقصود تحقيق وقوع الحشر على من أنكره من المشركين وتحقيق الوعد والوعيد للمؤمنين، والحصر هنا حقيقي إذ هم لم ينكروا كون الحشر إلى الله وإنما

أنكروا وقوع الحشر، فسلك في إثباته طريق الكناية بقصره على الله تعالى المستلزم وقوعه، وأنه لا يكون إلا إلى الله، تعريضا بأن آلهتهم لا تغني عنهم شيئا"[1].

فمعمول ﴿تُحْشَرُونَ﴾ وهو الجار والمجرور ﴿إِلَيْهِ﴾ قُدِّم عليه عند ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ لإفادة غرضين: التقوية والقصرُ، أما التقوية فلأن المقصود تقريرُ أمر البعث الذي أنكره المشركون، وتحقيقُ وقوعه، وإزالةُ شكوكهم في إمكانه، ونسفُ إنكارهم حدوثَه، وإماطةُ شبههم في حصوله، وبيان بطلان قولهم في نفيه، وهو مع ذلك مفيدٌ حصرَ الحشر وقصرَه على الله تعالى وحدَه، فهو المحشورُ إليه لا غيرُه.

فإن قيل: إنهم لم يمتروا في كون الحشر إلى الله دون سواه، بل أنكروا وقوع الحشر رأسًا فكيف صح أن يساق لهم تقوية وتأكيد ما لم ينكروه؟

قيل: أثبت لهم الحشر إلى الله وحده تصريحًا، وجعله كناية عن لازمه وهو وقوعه وإمكانه أصلا، فمعلوم أنه إذا ثبت حشرٌ إلى الله تعالى ثبتتْ حقيقةُ ما أنكروه، فإثباتُ الحشر مقصورًا على الله تعالى وحدَه دون غيره من آلهتهم المزعومةِ، وأصنامهم المعبودة فيه إثباتٌ للازمِه بطريق الكناية، وهو وقوع الحشر الذي أنكره المشركون، وبذلك تكون الآية بتقديم المجرور على عامله مؤدِّيةً غرضين:

أحدهما: إثبات إمكان الحشر الذي كذبوه واستبعدوه، وهو مدلول عليه بالالتزام، فإن إثبات الحشر إلى الله وحده يلزم منه أن هنالك حشرٌ، وأنه واقع لا محالة.

ثانيهما: قصر الحشر على الله تعالى، وتخصيصه به، فليس في الآخرة من يحشر إليه الخلق على الحقيقة غيرُ الله تعالى، وهذا القصر حقيقيٌ مراد منه التعريض بالأصنام التي لا تملك من أمر المعاد شيئا، والتهديد لعبَّادها من منكري البعث.

وأما تقديم المجرور على عامله لإفادة التَّقَوِّي مع مراعاة الفاصلة ففي قول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء]، يقول ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ " وتقديم المجرور للرعاية على الفاصلة وإفادة تَقَوِّي الخبر، وأما احتمال القصر فلا يقوم هنا؛ إذ ليس ذلك باعتقاد للمخاطبين كيفما افترضتهم"[2].

---

(١) التحرير والتنوير ٧ / ٣٠٦.

(٢) التحرير والتنوير ١٧ / ٦٥.

أما رعاية الفاصلة فأمرها ظاهرٌ قد سبق تقريرُه غيرَ مرّة، فإن ائتلافَ الفواصل من بلاغة القرآن الكريم، ومن مظاهر جودة سبكه وحسن نظمه، وهو قائمٌ في الإعجاز مقام حُسْنِ المعاني، فتأتلفُ برعايةِ الفاصلةِ القوالبُ المعجزةُ مع المعاني الباهرةِ.

وأما تقوية الخبر وتوكيده فللاهتمام بهذا الرجوع والعناية به؛ سواء كان الخطاب في: ﴿وَنَبْلُوكُم - تُرْجَعُونَ﴾ للناس كافة بطريق تلوين الخطاب، فالتقوية إذًا لما يدل عليه الرجوع من الوعد والوعيد، أو كان الخطاب للكفرة بطريق الالتفات، فالتقوية لما يدل عليه الرجوع من الوعيد فحسب[(١)]؛ إذ ليس المخاطبون بمثبتينَ رُجْعَى لا إلى الله تعالى ولا إلى غيره، فهم لا يؤمنون بالبعث أصلا، فسيق الخبر للمخاطبين مؤكدا بتقديم المجرور لإفادة التقَوِّي.

وأما ما استبعده ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من إفاد هذا التقديم قصرَ الرجوع على الله تعالى، وتخصيصَه به معلِّلا استبعاده بأن أحدًا من المخاطبين لم يعتقد رجوعًا إلى غير الله حتى يُتَكَلَّفَ في هذا التقديم معنى القصر= فغيرُ بعيدٍ عند غيره كأبي السعود، والشوكاني، والآلوسي[(٢)]، بل هو عندهم معنى وارد، ووجه محتمل.

والظاهر أن الآية في تقرير أمر المعاد لا في حسم نزاعٍ في المرجوع إليه حتى يُتكلَّف له ادعاء القصر – كما ذهب إليه أبو السعود ومن وافقه- على أنه لا يخلو تقديم المجرور هنا من ترهيب المخاطبين وترغيبهم على الوجه الأول في الخطاب، والترهيب فقط على الوجه الثاني، مع التهوين من شأن أصنامهم ومعبوداتهم وأنه لا رجعى إليها، ولا تملك من أمر المعاد شيئا، فيكون التقديم مفيدا أغراضًا عديدة، والله أعلم.

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ٦ / ٦٦.

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم ٦ / ٦٦، وفتح القدير ٣/ ٤٩٧، وروح المعاني ٩/ ٤٥.

المطـــلب الثـــاني

تَقْديمُ المجْرُورِ على عامِلِـهِ لثلاثَـةِ أغْرَاضٍ.

وفيـــــــه ما يأتي:

أولًا: تقديم المجرور على عامله للاهتمـام، والقصـر، ورعايـة الفاصلـــة.

ثانيًا: تقديم المجرور على عامله ، للاهتمـام، والتشويق، ورعاية الفاصلة.

ثالثًا: تقديم المجرور على عامله ، للاهتمـام، والتعريض، ورعاية الفاصلة.

رابعًا: تقديم المجـرور على عامله للتنويـه، والتنبيـه، ورعاية الفاصلة.

توطئة:

قليلةٌ هي المواطنُ التي اقتضى فيها تقديمُ المجرور على عامله أغراضًا بلاغيَّةً ثلاثةً، إلا أن هذه المواطن – على قلَّتها – تعكس لنا لونًا من ألوان إعجاز القرآن الكريم في غزارة معانيه، وكثرة فوائده، مع وجازة ألفاظه، وقلَّة التصرف فيها؛ حيث أصيب فيها بتقديم المجرور مفصلَ البلاغة وموجبَ حسن النظم بما أدي إليه هذا التقديم من رعاية الفواصل، والوفاء بحق المعاني.

وقد لوحظ في أغلب هذه المواطن أن الاهتمام ورعاية الفاصلة غرضان أساسيان من بين الأغراض الثلاثة التي افتضاها تقديم المجرور على عامله.

وقد سبق الحديث عن أغلب تلك الأغراض مثنى وفرادى، والمراد في هذا المطلب بيان وجه إفادة تقديم المجرور على عامله هذه الأغراض الثلاثة مجتمعة في تلك المواطن.

❁ أولا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام، والقصر، ورعاية الفاصلة.

تحدَّث ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن اقتضاء تقديم المجرور على عامله الاهتمامَ والقصرَ مع رعاية الفاصلة، في موضع واحدٍ من تفسيره، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾ [يوسف]، حيث يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وتقديم له في: ﴿ لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴾ و﴿ لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ يجوز أن يكون لأجل الرعاية للفاصلة، والاهتمام بشأن يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في ظاهر الأمر، ويجوز أن يكون للقصر الادعائي جعلوا أنفسهم لفرط عنايتهم به بمنزلة من لا يحفظ غيرُه، ولا ينصحُ غيرُه"[(١)].

فجوَّز ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يكون تقديم المجرور ﴿لَهُۥ﴾ على عامله في الآيتين مقصودا به اتساق نظم الفواصل، ليأتلف مبناها على حرف النون المسبوق بحرف مدٍّ، والياء والواو في ذلك سواء، فقبل هاتين الفاصلتين: ﴿صَٰلِحِينَ ٩﴾ و﴿ فَٰعِلِينَ ١٠﴾ وبعدهما: ﴿غَٰفِلُونَ ١٣﴾ و﴿لَّخَٰسِرُونَ ١٤﴾.

وإذا كان المجرور هو ضمير يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فإن تقديمهم له على فِعْلَيِ النُّصْح والحِفْظِ ظاهرُ

(١) التحرير والتنوير ١٢ / ٢٢٩.

الدّلالةِ على عنايتهم المزعومة بشأنه، والاهتمام به؛ ليستنزلوا بذلك أباهم عن عادته في التحفُّظِ عليه منهم، ليَعْهَدَ به إليهم حين يرى بوادر عنايتهم بأخيهم، ودلائل عزمهم على حفظه.

ولهذا التقديم عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ غرض ثالث، وهو القصر، وهو قصر ادعائي أريد به المبالغة كما أفادته عبارته، وقدَّر وجه المبالغة فيه أنهم قصروا أنفسهم على نصحه وحفظه فأنزلوها منزلة من لا يحفظ غيرُه، ولا ينصحُ غيرُه، وهو على ذلك من باب قصر الموصوف على صفة.

والذي يظهر لي أن القصر من باب قصر الصفة على موصوف، وأن الحفظ هنا منظور فيه إلى مفعول الحفظ لا إلى فاعله، فالحفظ مقصور، ويوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مقصور عليه، وهم لما أرادوا المبالغة في حفظ أخيهم أنزلوا أنفسهم منزلة من لا عمل له إلا النصح ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والحفظ والحراسة له، والمعنى: وإنا له دون غيره لناصحون، وإنا له دون غيره لحافظون، فما من عمل لنا إلا نُصحُه وحفظُه، دون الانشغال بغيره.

وهذا التقدير أوفق بما دل عليه قول أبيهم لهم: ﴿ ... وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يوسف]، فهو إنما تخوَّف من غفلتهم وانشغالهم باللعب عنه، فأوهموه أنهم ما هم عنه بمنشغلين، وما لهم في هذه الرحلة من عمل إلا حفظُه وحياطتُه. والله أعلم.

❁ ثانيا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام، والتشويق، ورعاية الفاصلة.

عند تفسير ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات]، ذكر لتقديم المجرور: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ﴾ على عامله ﴿ رِزْقُكُمْ ﴾ أسبابا ثلاثة اقتضتْه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وتقديم المجرور على متعلَّقِه للتشويق، وللاهتمام بالمكان، وللرد على الفاصلة"[1].

جاء الجار والمجرور ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ﴾ خبرا مقدما مسندا، وعامله: ﴿ رِزْقُكُمْ ﴾ مبتدأً مؤخَّرا مسندا إليه، وأصل الترتيب مقتضٍ تقديمَه وتأخيرَ الخبر، إلا أنه خولف الترتيب تحقيقا للأغراض الثلاثة التي أشار إليه ابن عاشور، وهاك بيانَها:

(١) التحرير والتنوير ٢٦ / ٣٥٤.

فأمَّا التشويق فظاهر من تقديم المسند الذي يُبْقِي النفسَ عند سماعه مترقبةً ورودَ المسند إليه، فيتمكن عند وروده عليها غاية التمكُّن، فقد عاين الموقنون الآيات التي في الأرض والتي في النفس حين وجههم الله تعالى إلى التفكر فيما أودعه فيهما من دلائل القدرة حيث قال: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ ﴾ [الذاريات]، ثم بين سبحانه أن ثمَّةَ في السماء ما يستحق التفكر فيه، والتدبر في شأنه فتطلعت النفس وتاقت واشتاقت لمعرفة المسند إليه الذي أودعه الله في السماء، فلما ورد على النفس المتشوقة ذكرُه، وأنه الرزق الذي تهفو إليه النفوس، وتنصَب في تحصيله، مع أنَّه في السماء مكفول، وإلى الله موكول رضيتِ النفوسُ بخبره بعدَ تَوْق، وارتوتْ بعدَ شَوْق، وتمكَّن المسند إليه عند وروده عليها فضل تمكن.

وأمَّا الاهتمام فإن تقديم المجرور مليحٌ بأهمية المكان الذي يحسم فيه أمر الرزق ويقضى، وهو السماء التي جعلها الله تعالى مكانا لقضاء عظائم الأمور، كفرضية الصلاة أعظم أركان الإسلام.

وأمَّا رعاية الفاصلة فظاهر من اتساقها مع سابقها ولاحقها بتقديم المجرور وتأخير العامل وما عطف عليه ﴿ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾، وكان مقتضى الأصل أن يقال: (ورزقكم وما توعدون في السماء)، إلا أنه بالتقديم حصل ائتلاف الفواصل ببنائها على حرفي الواو والنون، فأصيب بهذا التقديم ائتلاف المباني، وارتقاء المعاني.

❁ ثالثًا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام، والتَّعريض، ورعاية الفاصلة.

من جملة ما قدِّم المجرور فيه على عامله لأغراض ثلاثة ما جاء في توجيه ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ للتقديم في قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال]، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وتقديم المجرور في قوله: ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ إما للرعاية على الفاصلة فهو من مقتضيات الفصاحة، مع ما فيه من الاهتمام باسم الله، وإما للتعريض بالمشركين، لأنهم يتوكلون على إعانة الأصنام، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ ﴾ [مريم]، فيكون الكلام مدحًا للمؤمنين، وتعريضًا بذم المشركين "[1].

(١) التحرير والتنوير ٩ / ٢٥٩.

والكلام في الغرضين الأوليْن قد سبق مِرارًا، فتقديم المجرور لأجل الفاصلة من مقتضيات الفصاحة لما فيه من توافق الفواصل، وحسن تأليفها، فقدِّم المجرور وأُخِّرَ عامِلُهُ المختومُ بالنون ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ لتحصل المشاكلة بين رؤوس الآي، سوابقها ولواحقها فيتمُّ بناء الآيات شكلا ومضمونًا، ومبنًى ومعنى.

وأما دلالة التقديم على الاهتمام فَلِمَا فيه من العنايةِ بالمتوكَّل عليه وهو الله تعالى، والتنويه بشأن هذا التوكل، لما فيه من تفويض الأمر كله إلى مالكه والتعويل على وكالته، فضلا عما في وصف الربوبية المقدم من الإيذان بالمالكية المطلقة والتصرف الكلي[1].

وأما غرض التعريض بالمشركين في توكلهم على الأصنام الذي أفاده هذا التقديم فلا أراه إلا منبثقا عن الحصر الذي أفاده هذا التقديم، فالتقديمُ يفيدُ الاختصاصَ أي: يتوكلون في جميع أمورهم على ربهم خاصة لا على غيره معرضين عما سواه، ففي تقديم المعمول إيذانٌ بالتبرِّي عن الحول والقوة، والتفويضُ الكاملُ، وقطعُ النظر عما سواه تعالى[2]، ومن كانت هذه حالُه في التوكل فهو ممدوح، ومن التجأ إلى الأصنام مع علمه بعجزها مذموم، فيكون مدح المؤمنين بصدق التوكل على الله، والتعريض بالمشركين في توكلهم على الأصنام مفهوم من خلال الاختصاص الذي أفاده التقديم. والله أعلم.

❁ رابعًا: تقديم المجرور على عامله للتّنويه، والتَّنبيه، ورعاية الفاصلة.

نبَّه ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع من مواضع تقديم المجرور على عامله في تفسيره على اقتضاء التقديم أغراضا ثلاثة، وذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ۝٢٠﴾ [يوسف]، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " وتقديم المجرور على عامله للتنويه

---

(١) إرشاد العقل السليم ٥ / ١٨٤، وروح المعاني ٥/ ١٧١.

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق دون طبعة أو تاريخ.(٥/ ٥٥٨) وفتح القدير للشوكاني ٣/ ١٩٧، وروح المعاني ٥/ ١٧١.

بشأن المزهود فيه، وللتنبيه على ضعف توسمهم وبصارتهم، مع الرعاية على الفاصلة"[1].

أشارت هذه الآية الكريمة إلى أن إخوة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ باعوه لبعض المارَّة بثمن مبخوسٍ منقوصٍ عن قيمة أمثاله نقصانًا ظاهرا، وكانوا فيه من الزاهدين، وما حملهم على الزهادة فيه إلا رغبتُهم في التخلص منه، فرضُوا فيه بأبخس الأثمان، وتقديم المجرور ﴿فِيهِ﴾ أفاد في هذا السياق فوائد ثلاثة:

إحداها: التنويهُ بشأن المزهود فيه، وهو يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتعظيم قدره، والإشادةُ بذكره؛ ليعلموا أن هذا الذي زهِدوا فيه له شأنٌ عظيم وقَدْرٌ رفيعٌ يُهيَّأ له، وكان الأجدرُ بهم التمسكَ به وليس التفريطُ والزهادةُ فيه.

ثانيها: التنبيه على ضعف توسُّمهم وبصارتهم، والمراد به الزراية على عقولهم؛ إذ فرَّطوا في كنز ثمين، فلم يتوسموا في أخيهم بوادر الخير وأماراتِه، من قولهم: توسمت فيه الخير أي: تفرستُه فيه، أي: عرفت فيه سمَتَهُ وعلامَتَهُ، وإنما يُتوَسَّمُ الخيرُ في الشي بالبصيرة أكثر من البصر، فنَبَّهَ بتقديم المجرور على ضعف بصيرتهم، وعدم إدراكهم، ولعل ذلك بسبب الغيرة التي أعمت بصرهم

ثالثها: رعاية الفاصلة، فإن تأخير ﴿ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴾، وتقديم ﴿فِيهِ﴾ حصل به ائتلاف الفاصلة مع الفواصل المكتنفة لها من جانبيها، فإن قبلها: ﴿ يَعۡمَلُونَ ١٩﴾ وبعدها: ﴿ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾، وجميعها مختومة بحرف النون، فتشاكلت الفواصل بهذا بالتقديم، وحصل به اتساق المبنى واتفاق المعنى. والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) التحرير والتنوير ١٢/ ٢٤٤.

الخـــاتمـــة

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله ... وبعد، فإن التقديم والتأخير من أجلِّ أبواب علم المعاني؛ ومن دلائل التمكن من الفصاحة، وحسن التصرف في الكلام، وهو من أعظم مظاهر البلاغة التي حفل بها القرآن الكريم.

وللطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عناية خاصة بذكر أغراض هذا الأسلوب القرآني البلاغي، ومن خلال دراستي لأحد أفراد هذا الأسلوب وهو (تقديم المجرور على عامله)، وما يترتب عليه من آثار معنوية، وأسرار دلالية في تفسير (التحرير والتنوير) توصلت إلى جملة من النتائج، أُجَلِّي أبرَزَهَا فيما يأتي مستعينا بالله تعالى:

أولا: يُعتبَرُ الإمام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أكثر المفسرين عناية بالأساليب البلاغية في القرآن الكريم، ومنها: التقديم والتأخير، ومن أشدهم تقريرا لقواعدها، وعناية بدقائقها، وبيان أثرها في تجلية وجوه الإعجاز القرآني.

ثانيا: اهتمام ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ البالغ بتعليل تقديم المجرور على عامله، وتوسعه في ذكر أغراضه في آي القرآن الكريم، موجِّهًا المعنى القرآنيّ تبعًا لذلك، ومبيِّنًا أثرَ هذا التقديمِ في اتساع مدلولاتها، وهو في ذلك أطول باعا وأعظم استيعابا من سائر المفسرين، فاكتسب تفسيره بمثل تلك العناية بين التفاسير رفعة الشأن وسموَّ المنزلة.

ثالثا: هيمنةُ غرضِ الاهتمام على أغراض تقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو أكثرها ورودا في تفسيره وليس الحصرُ والاختصاصُ وفق ما نحاه السيوطي حين قال: "كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا"[1]، ولا تخفى دلالة ذلك على قوة شخصية ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ كمفسر ضليع في علوم البلاغة العربية، وأن له رؤية بيانية مستقلَةً لا ينساق فيها خلف تقريرات بعض العلماء على جلالة قدرهم.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٤٠.

رابعًا: أثبتت الدراسة أن مُرتكَزَ ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليل تقديم المجرور على عامله تارةً يكون غرضًا بلاغيًّاواحدًا – وهذا هو الأكثر في تفسيره – وتارةً يكون غرضَينِ بلاغيَّينِ وهو قليل، وقد تصلُ مرتكَزاتُهُ أحيانًا إلى ثلاثةِ أغراضٍ وهو نادر الوجود لا تتجاوز مواضعه أصابع اليد الواحدة.

خامسا: من فرائد ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولطائفه التي قرَّرها في تفسيره مرارًا: إفادة تقديم المجرور على عامله معنى الشرطيَّة والتقييد على طريقة الإشراب والتضمين، فيُنزَّل المعمول المقدَّم منزِلةَ الشرط، فتدخل الفاء في جوابه للربط بين رُكْنَيِ الجملة، ولم يحظ هذا التقرير بعناية المفسرين المهتمِّين بالبلاغة القرآنية كالزمخشري وأبي السعود إلا إشارات من طرف خفي، بُلْهَ غيرهم.

سادسًا: بلغت أغراض تقديم المجرور على عامله عند ابن عاشور (١٠) أغراض، وردت في تعليلاته لتقديم المجرور على عامله بحسب ما أحصته الدراسة (٣١٧) مرة تقريبا، منها مواطن يرد فيها الغرض منفردا، ومنها مواطن يرد فيها الغرض مضموما إلى آخر، ومنها ما يفيد التقديم فيه أغراضا ثلاثة، وفيما يأتي بيان بعدد ورود الأغراض العشرة، والنسب المئوية لذلك الورود:

م	الغرض	عدد مرَّات وروده	نسبته المئوية
١	الاهتمام	١٥٠	% ٤٧
٢	الحصر وما في معناه	٨٠	% ٢٥, ٢٣
٣	رعاية الفاصلة	٦٠	% ١٩
٤	التشويق	٨	% ٢, ٥
٥	إفادة الشرط	٦	% ١, ٨
٦	التنبيه	٤	% ١ ,٢٥
٧	رعاية النظير	٣	% ,٩
٨	التقوِّي والتأكيد	٣	% ,٩
٩	التعريض	٢	% ,٦
١٠	الإجمال قبل التفصيل	١	% ,٣

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفهـــارس العلميـة

أولا : فهرس الآيات القرآنية المدروسة في البحث

م	الآيـة القرآنية المدروسـة	السـورة	الصفحة
١.	﴿ ... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	البقرة	١٠٦٧
٢.	﴿... وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾	البقرة	١٠٥٥
٣.	﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ... ﴿١٥٩﴾ ﴾	آل عمران	١٠٥٨
٤.	﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾	المائدة	١٠٨٩
٥.	﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ ﴾	الأنعام	١٠٦٣
٦.	﴿ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾	الأنعام	١٠٩٣
٧.	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾	الأنعام	١٠٨٧
٨.	﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ... ﴿١٥٢﴾ ﴾	الأنعام	١٠٤٥
٩.	﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾	الأعراف	١٠٧٧
١٠.	﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾	الأعراف	١٠٩٢
١١.	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ... ﴿٢٠٦﴾ ﴾	الأعراف	١٠٦٠
١٢.	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾	الأنفال	١٠٩٩
١٣.	﴿ ... إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ ﴾	التوبة	١٠٧٨
١٤.	﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ... ﴿١٠١﴾ ﴾	التوبة	١٠٦٧
١٥.	﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾	التوبة	١٠٤٨
١٦.	﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾	يونس	١٠٧٩

م	الآية القرآنية المدروسة	السورة	الصفحة
١٧.	﴿ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾	يوسف	١٠٩٧
١٨.	﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَاهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾	يوسف	١١٠٠
١٩.	﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ ﴾	طـه	١٠٧١
٢٠.	﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾	طـه	١٠٧٣
٢١.	﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	الأنبياء	١٠٩٤
٢٢.	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾	المؤمنون	١٠٨٣
٢٣.	﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾	القصص	١٠٧٩
٢٤.	﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ... ﴿٣٩﴾ ﴾	القصص	١٠٦٣
٢٥.	﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾	لقمان	١٠٩٠
٢٦.	﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدِۭ ... ﴿١٠﴾ ﴾	السجدة	١٠٦٣
٢٧.	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ ...﴾	فاطر	١٠٧٦
٢٨.	﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	يس	١٠٨٨
٢٩.	﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾	الزمر	١٠٥٧
٣٠.	﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾	الشورى	١٠٩٠
٣١.	﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾	الزخرف	١٠٨٢
٣٢.	﴿ رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ﴿١١﴾ ﴾	ق	١٠٩١
٣٣.	﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾	الذاريات	١٠٩٨
٣٤.	﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾	المطففين	١٠٨٠
٣٥.	﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾	الشرح	١٠٨٠

فهرس المصطلحات الواردة في البحث

م	المصطلح	الصفحة
١-	التقديم	١٠٣٥
٢-	التأخير	١٠٣٥
٣-	الاهتمام	١٠٤٤
٤-	القصر	١٠٥٢
٥-	الحصر	١٠٥٢
٦-	الاختصاص والتخصيص	١٠٥٣
٧-	القصر الحقيقي	١٠٥٥
٨-	القصرُ الادعائيُّ	١٠٥٧
٩-	والقصر الإضافيُّ	١٠٥٩
١٠-	الفاصلة	١٠٦١
١١-	الفصاحة	١٠٦٤
١٢-	التنبيه	١٠٦٧
١٣-	الإجمال	١٠٧٠
١٤-	مراعاة النظير	١٠٧٢
١٥-	التَّشويقُ	١٠٧٥
١٦-	الشرط	١٠٧٧
١٧-	التأكيد	١٠٨١
١٨-	التعريض	١٠٨٢

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم وفق الرسم العثماني.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٨٢هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت بلا طبعة ولا تاريخ.
- أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود –دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ = ١٩٩٨ م.
- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فاري الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي – بيروت - الطبعة: الأولى : ١٤١٨ هـ
- الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني محمد بن عبد الرحمن بن عمر، المعروف بخطيب دمشق (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي - دار الجيل – بيروت - الطبعة: الثالثة، دون تاريخ.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت - الطبعة: ١٤٢٠ هـ.
- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م.
- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع للدكتور/ حسن إسماعيل حسن عبد الرازق الجناجيّ، (ت: ١٤٢٩ هـ)، المكتبة الأزهرية للتراث - القاهرة – مصر - سنة الطبع: ٢٠٠٦ م.
- البلاغة العربية لعبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم - دمشق - الدار الشامية، بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى، الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، (ت: ١٢٠٥ هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية دون طبعة أو تاريخ. (١٣/ ٤٢٢). [حصر].
- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت : ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي - الناشر : عيسى البابي الحلبي – القاهرة – مصر، دون طبعة أو تاريخ.
- التحرير والتنوير للشيخ/ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس - سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .
- تراجم المؤلفين التونسيين لمحمد محفوظ (ت: ١٤٠٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٩٩٤ م.

- التسهيل لعلوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جُزَيِّ الكلْبِيّ (ت: ٧٤١هـ) تحقيق د/ عبد الله الخالدي - دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت الطبعة: الأولى : ١٤١٦ هـ
- التعريفات الفقهية محمد عميم الإحسان البركتي - دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧هـ = ١٩٨٦م)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.
- التفسير البياني للقرآن الكريم التفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة بـ: بنت الشاطئ (ت: ١٤١٩هـ)، دار النشر: دار المعارف – القاهرة- الطبعة: السابعة، بلا تاريخ. ١/ ٣٥.
- تفسير القرآن لسلطان العلماء العز بن عبد السلام أبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ٦٦٠هـ) تحقيق: د/ عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت-الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ= ١٩٩٦م.
- التفسير القيم لأبي بكر محمد بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان- دار ومكتبة الهلال – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ
- تفسير المنار= تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٩٠م.
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري ، إشراف ومراجعة: د/ هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م.
- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد لمحمد بن يوسف بن أحمد الحلبي، المعروف بناظر الجيش (ت: ٧٧٨ هـ)، تحقيق: أ. د/ علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام - القاهرة - مصر الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ
- تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب- دار إحياء التراث العربي – بيروت- الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ=٢٠٠٠ م.
- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور لضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: د/ مصطفى جواد- د/ جميل سعد- الناشر: مطبعة المجمع العلمي العراقي، عام النشر: ١٣٧٥هـ = ١٩٥٦م، بلا طبعة .
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة- الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ=١٩٦٤م.
- الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي (ت: ١٣٧٦هـ)، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت- الطبعة: الرابعة: ١٤١٨ هـ (١/ ٤٩).
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي - المكتبة العصرية- بيروت دون طبعة أو تاريخ.

- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني (ت: ٧٩٢ هـ) لمحمد بن عرفة الدسوقي، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي- المكتبة العصرية –بيروت- لبنان- الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي (ت: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو- دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروتالطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق د/ محمد علي النجار، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- المكتبة العلمية، بلا طبعة.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور/ أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق دون طبعة أو تاريخ.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي أبي بكر الجرجاني (ت: ٤٧١هـ) تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر – مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة- الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ = ١٩٩٢م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية دار الكتب العلمية –بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- زاد المسير في علم التفسير لجمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد أبي الفرج الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي- دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار -دار العلم للملايين – بيروت-الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ =٩٨٧ م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي أحمد بن علي بن عبد الكافي، (ت: ٧٧٣ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ = ٢٠٠٣م.
- عُقُودُ الجُمَانْ فِي عِلْمِ الْمَعَانِي وَالْبَيَانْ، وهو نظم لكتاب «تلخيص المفتاح» للخطيب القزويني (ت: ٧٣٩)هـ ناظمه: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق وضبط: عبد الحميد ضحا، دار الإمام مسلم – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ = ٢٠١٢ م.
- العين للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال بلاطبعة ولا تاريخ.
- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت- الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب = حاشية الطيبي على الكشاف، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت: ٧٤٣ هـ)، تحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م (١٥/ ٤٤٥).

- كتاب التعريفات للشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي الزَّين (ت: ٨١٦هـ)، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر- دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ =١٩٨٣م.
- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد المتجب الهمذاني (ت: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح - دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية- الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ= ٢٠٠٦ م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي محمد بن علي ابن القاضي محمد الحنفي (ت: بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت - الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٧ هـ.
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ) -دار صادر – بيروت-الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، المعروف بابن الأثير الكاتب (ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت- عام النشر: ١٤٢٠ هـ بلا طبعة.
- محاسن التأويل لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود ـ دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، - دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ
- المخَصَّص لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت -الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ= ١٩٩٦م.
- مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي (ت: ٤٣٧هـ)، تحقيق د. حاتم صالح الضامن- مؤسسة الرسالة – بيروت- الطبعة: الثانية ١٤٠٥.
- معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج إبراهيم بن السري بن سهل (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ =١٩٨٨ م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم للأستاذ الدكتور محمد حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
- معجم الصواب اللغوي د/ أحمد مختار عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب - القاهرة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ=٢٠٠٨ م.

- معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب- القاهرة -الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها د/ أحمد مطلوب، الدار العربية للموسوعات، بيروت- لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦ هـ.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية، للدكتور/ محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ= ١٩٨٥م.
- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» لعادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ = ١٩٨٨م.
- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون-دار الفكر-بلا طبعة، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
- مفاتيح الغيب لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
- مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت –لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ= ١٩٨٧م.
- مناهج البحث العلمي لعبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، شارع فهد السالم، الكويت، ط٣: ١٩٧٧م.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة «من القرن الأول إلى المعاصرين مع دراسة لعقائدهم وشيء من طرائفهم» جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وآخرين، الناشر: مجلة الحكمة-مانشستر – بريطانيا-الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

فهرس الموضوعات والمحتويات

الموضـــوع	الصفحة
الملخص	١٠١٦
المقدمة	١٠١٨
أسباب اختيار الموضوع	١٠١٩
الدراسات السابقة	١٠٢٠
منهج الدراسة	١٠٢٢
حدود الدراسة	١٠٢٣
أسئلة الدراسة	١٠٢٤
أهداف الدراسة	١٠٢٤
خطة البحث	١٠٢٤
التمهيـــــد (التعريف بابن عاشور وكتابه، وبقضية البحث)	١٠٢٧
أولا: التّعـريف بالطـاهر بن عاشـــور رَحِمَهُ اللَّهُ	١٠٢٨
ثانيا: التعريـف بكتاب: (التحـرير والتنـوير)	١٠٣١
ثالثا: التقديم والتأخير، مفهوما، وبلاغة، وأنواعا	١٠٣٤
المبحـث الأول: فهو بعنوان: تقديم المجـرور على عامله لغـرض واحد. وفيه مطلبـان:	١٠٤١
المطلب الأول: تقديم المجرور على عامله لغرضٍ واحدٍ كثيرِ الدَّوْرِ في القرآن الكريم.	١٠٤٣
أولا: تقـديم المجـرور على عامـلـه لغـرض الاهتمـام	١٠٤٤
ثانيًا: تقديم المجـرور على عامله لغـرض الحصـر وما في معنـاه	١٠٥٢
ثالثًا: تقديم المجـرور على عـامـلـه لغرض رعـاية الفاصـلـة	١٠٦١
المطلب الثاني: تقديم المجرور على عامله لغرضٍ واحدٍ قليلِ الدَّورِ في القرآن الكريم.	١٠٦٦
أولا: الـتنبيـه	١٠٦٧
ثانيًا: الإجمال قبل التفصيل	١٠٧٠
ثالثًا: مـراعاة النظـــير	١٠٧٢
رابعًا: التشـــــويـق	١٠٧٥

خامسًا: إفادة معنى الشرط ١٠٧٧
سادسًا: التقَوِّي والتأكيد ١٠٨١
سابعًا: التعريض ١٠٨٢
المبحث الثاني: تقديم المجرور على عامله لأكثر من غرض. وفيه مطلبان: ١٠٨٤
المطلب الأول: تقديم المجرور على عامله لغرضين. وفيه ما يلي ١٠٨٦
أولا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع رعاية الفاصلة ١٠٨٧
ثانيا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع القصر وما في معناه ١٠٨٩
ثالثًا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع التشويق ١٠٩٠
رابعا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام مع رعاية النظير ١٠٩٢
خامسًا: تقديم المجرور على عامله للتَّقَوي مع القصر أو مع رعاية الفاصلة ١٠٩٣
المطلب الثاني: تقديم المجرور على عامله لثلاثة أغراض. وفيه ما يلي: ١٠٩٦
أولًا: تقديم المجرور على عامله للاهتمام، والقصر، ورعاية الفاصلة ١٠٩٧
ثانيًا: تقديم المجرور على عامله ، للاهتمام، والتشويق، ورعاية الفاصلة ١٠٩٨
ثالثًا: تقديم المجرور على عامله ، للاهتمام، والتعريض، ورعاية الفاصلة ١٠٩٩
رابعًا: تقديم المجرور على عامله للتنويه، والتنبيه، ورعاية الفاصلة ١١٠٠
الخاتمة ١١٠٢
الفهارس العلمية ١١٠٤
١- فهرس الآيات القرآنية المدروسة في البحث ١١٠٤
٢- فهرس المصطلحات العلمية ١١٠٦
٣- فهرس المصادر والمراجع ١١٠٧
٤- فهرس الموضوعات ١١١٢